17me, année No 947

Le Caire 27 — 8 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٧٠ — ١٧ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ماذا خسر العالم

بانحطاط المسلمين

للأستاذ سيد قطب

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم، وثقتهم بماضيهم، ورجاءهم فى مستقبلهم! ما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين الذى يحملون اسمه ويجهلون كنهه، ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه بالمعرفة!

وهذا الكتاب الذى بين يدى: « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » لمؤلفه « السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى » من خير ما قرأت فى هذا الاتجاه، فى القديم والحديث سواء.

إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث فى روح المؤمن بها إحساس العزة فى غير كبر، وروح الثقة فى غير اغترار، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل. وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية فى مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم والطريق السوى، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . . . « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وهذا الكتاب الذى بين يدى، يثير فى نفس قارئه هذه المعانى كلها، وينفث فى روحه تلك الخصائص جميعها. ولكنه لا يعتمد فى هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعا؛ ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضا عادلا مستنيراً؛ ويتحاكم فى القضية التى يعرضها كاملة إلى الحق والواقع والمنطق والضمير، فتبدو كلها متساندة فى صفه وفى صف قضيته، بلا تمحل ولا اعتساف فى مقدمة أو نتيجة

وتلك مزية الكتاب الأولى

إنه يبدأ فيرسم صورة سريعة — ولكنها واضحة — لهذا العالم قبل أن تشرق عليه أنوار الإسلام الأولى. يرسم صورة لهذا العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من الهند والصين إلى فارس والروم، صورة المجتمع وصورة الضمير فى هذه الدنيا المريضة فى الجماعات التى تظلها الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية والتى تظلها الديانات الوثنية كالهندوكية والبوذية والزرادشتية. وما إليها ...

إنها صورة جامعة تعرض رقعة العالم وتصفها وصفا بينا ؛ لا يتعسف المؤلف فيه ولا يتزيد ؛ إنما يشركه معه الباحثين والمؤرخين من القدامى والمحدثين ، وممن يدينون بغير الإسلام ، فلا شبهة في أن يكونوا متعرضين له ، والدور الذي أداه في ذلك العالم القديم

إنه يصف العالم تسيطر عليه روح الجاهلية ، ويتعفن ضميره ، وتأسن روحه ؛ وتختل فيه القيم والمقاييس ؛ ويسوده الظلم والعبودية ؛ وتجتاحه موجة من الترف الفاجر والحرمان التاعس ؛ وتغشاه غاشية من الكفر والضلال والظلام ، على الرغم من الديانات السماوية ، التي قد أدركها التحريف ، وسرى فيها الضعف ، وفقدت سيطرتها على النفوس ، واستحالت طقوسا جامدة لا حياة فيها ولا روح ؛ وبخاصة المسيحية التي يصورها مستر مستر « ج . هـ . دينسون » صورة دقيقة في كتابه « Emotions as the Basis of Civilization » فيقول :

« في القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدن على شفا جرف هار من الفوضى ؛ لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ، ولم يك ثم مايعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام

أما النظم التي خلفتها المسيحية ، فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام . وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله . . واقفة تترنح ، وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب . . وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه [1] »

... فإذا فرغ المؤلف من رسم صورة العالم في جاهليته هذه بدأ يعرض دور الإسلام في حياة البشرية ، دوره في تخليص روح البشر من الوهم والخرافة ، ومن العبودية والرق ، ومن الفساد والتعفن ، ومن القذارة والانحلال . ودوره في تخليص المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان ، ومن التفكك والانهيار ، ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام واستذلال الكهان ، ودوره في بناء العالم على أسس من العفة والنظافة ، والإيجابية والبناء ، والحرية والتجدد ؛ ومن المعرفة واليقين ، والثقة والإيمان ، والعدالة والكرامة ؛ ومن العمل الدائب لتنمية الحياة ، وترقية الحياة ، وإعطاء كل ذي حق حقه في الحياة

كل أولئك في إبان الفترة التي كانت القيادة فيها للإسلام في أي مكان ، والتي كان الإسلام فيها يعمل . وهو لا يستطيع أن يعمل إلا أن تكون له القيادة ، لأنه بطبيعته عقيدة استعلاء ، ومنهج قيادة ، ونزعة ابتداع لا اتباع

ثم تجيء الفترة التي فقد الإسلام فيها الزمام ، بسبب انحطاط المسلمين ، وتخليهم عن القيادة التي يفرضها عليهم هذا الدين ، والوصاية التي يكلفهم بها على البشرية ، والتبعات التي يلوطها بهم في كل اتجاه

وهنا يستعرض المؤلف أسباب هذا الانحطاط الروحية والمادية ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم عندما تخلوا عن مبادئ دينهم ، ونكصوا عن تبعاتهم ؛ وما نزل بالعالم كله من فقدان لهذه القيادة الراشدة ، ومن انتكاس إلى الجاهلية الأولى . ويرسم خط الانحدار الرهيب الذي ترتكس فيه الإنسانية في ذات الوقت الذي تفتح فيه آفاق العلم الباهرة . يرسم هذا الخط رسما حيا مؤثرا عن طريق التأمل الفاحص، لابالجمل التاريخية والتعبيرات المجتحة . فالحقائق الواقعة كما عرضها المؤلف غنية عن كل بهرج وكل تزويق

ومن خلال هذا الاستعراض يحس القارئ بمدى الحاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية ، وردها إلى الهدى الذي انبثق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى المعرفة . ويشعر بالقيمة الكلية لوجود هذه القيادة في الأرض ، وبمدى الخسارة التي حلت بالبشر جميعا ، لا بالمسلمين وحدهم في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل القريب والبعيد . . كذلك يثور في نفس المسلم بصفة خاصة روح الندم على مافرط ، وروح الاعتزاز بما وهب ، وروح الاستشراف إلى القيادة التي ضيع

* * *

(1) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

ولعله مما يلفت النظر تعبير المؤلف دائماً عن النكسة التي حاقت بالبشرية كلها منذ أن عجز المسلمون عن القيادة بكلمة « الجاهلية »

وهذا تعبير دقيق الدلالة على فهم المؤلف للفارق الأصيل بين روح الإسلام ، والروح المادي الذي سيطر على العالم قبله ، ويسيطر عليه اليوم بعد أن تخلى الإسلام عن القيادة . . إنها «الجاهلية» في طبيعتها الأصيلة: فالجاهلية ليست فترة من الزمن محدودة، ولكنها طابع روحي وعقلي معين . طابع يبرز بمجرد أن تسقط القيم الأساسية للحياة البشرية كما أرادها الله ، وتحل محلها قيم مصطنعة تستند إلى الشهوات الطارئة ، والنزعات الهابطة . وهذا ما تعانيه البشرية اليوم في حالة الارتقاء الآلي ، كما كانت تعانيه من قبل في أيام البربرية الأولى

« فرسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله ، والإيمان باليوم الآخر . وجائزته هي الخروج من الظلمات إلى النور ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر ، فقد افتضحت الجاهلية ، وبدت سوآتها للناس ، واشتد تذمر الناس منها . فهذا أوان انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام ، لو نهض العالم الإسلامي ، واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة ، ودان بها كالرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال ... » كما يقول المؤلف الفاضل قرب نهاية الكتاب

* * *

وأخيراً فإن الخصيصة البارزة في هذا الكتاب كله هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل . وهو لهذا يعد نموذجاً لا للبحث الديني والاجتماعي فحسب . بل نموذجاً كذلك للتأريخ ، كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية

لقد مضى الأوربيون يؤرخون للعالم كله من زاوية النظر الغربية ، متأثرين بثقافاتهم المادية ، وفلسفتهم المادية ؛ ومتأثرين كذلك بالعصبية الغربية ؛ والعصبية الدينية — شعروا بذلك أم لم يشعروا — ومن ثم وقعت في تأريخهم أخطاء وانحرافات ، نتيجة إغفالهم لقيم كثيرة في هذه الحياة ، لا يستقيم تاريخ الحياة ولا يصح تفسير الحوادث والنتائج بدونها ، ونتيجة لتصميمهم الذي يجعل أوربا في نظرهم هي محور العالم ومركزه دائماً ؛ ولإغفالهم العوامل الأخرى التي أثرت في تاريخ البشرية ، أو التهوين من شأنها إذا لم يكن مصدرها هو أوربا

ولقد درجنا نحن على أن نتلقف التاريخ من أيدي أوربا كما نتلقف كل شيء آخر ، نتلقفه بأخطائه تلك ، وهي أخطاء في المنهج بإغفال قيم كثيرة وعوامل كثيرة ، وأخطاء في التصوير نتيجة النظر من زاوية واحدة للحياة البشرية ، وأخطاء في النتائج تبعاً للأخطاء المنهجية والتصورية

وهذا الكتاب الذي بين يدي نموذج للتاريخ الذي ينظر للأمور كلها ، وللعوامل جميعها ، وللقيم على اختلافها . ولعل القارئ لم يكن ينتظر من رجل مسلم واثق بقوة الروح الإسلامي متحمس لرد القيادة العالمية إليه . . أن يتحدث عن مؤهلات القيادة ، فلا ينسى بجوار « الاستعداد الروحي » أن يلح في « الاستعداد الصناعي والحربي » و « التنظيم العلمي الجديد » وأن يتحدث عن الاستقلال التجاري والمالي

إنه الإحساس المتناسق بكل مقومات الحياة البشرية . وبهذا الإحساس المتناسق سار في استعراضه التاريخي ، وفي توجيهه للأمة الإسلامية سواء . ومن هنا يعد هذا الكتاب نموذجاً للتاريخ كما يجب أن يتناوله المسلمون ، مستقلين عن التأثر بالطريقة الأوربية ، التي ينقصها هذا التناسق ، وهذه العدالة ، وهذا التحقيق

وإنه ليسعدني أن أتحدث عن هذا الكتاب بذلك الإحساس ذاته ، وأن أسجل هذه الظاهرة وأنا مغتبط بهذه الفرصة التي أتاحت لي أن أطلع عليه في العربية(١) .. اللغة التي آثر صاحبه أن يكتبه بها، وأن ينشره في مصر للمرة الثانية : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد »

سيد قطب

(١) المؤلف هندي وهو عضو ندوة العلماء بها ومنها لقبه « الندوي »

الملك الشهيد
عبد الله بن الحسين

تعقيب على مقال (الرسالة)

من مذكرات

بقلم الأستاذ أحمد رمزي بك

القنصل العام السابق لمصر بفلسطين وشرق الأردن

بين ١٩٣٥ و ١٩٣٧

— ١ —

حينما بدأت هذه الكلمة كان أمامي ديوان البحتري مفتوحا فوقع نظري على بيتين من الشعر لا أدري من الممدوح فيهما، ولكني رأيتهما ينطبقان على عبد الله بن الحسين، رحمة الله عليه:

لو أن كفك لم تجد لمؤمل ... لكفاه عاجل وجهك المتهلل
وتصرفت بك في المكارم همة ... نزلت من العلياء أعلى منزل

رحم الله الملك الراحل! لقد مات ميتة الشهداء وانتقل إلى الرفيق الأعلى. ولقد «كان قوة مؤثرة في سياسة الشرق والغرب» كما قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات بك في مقاله الافتتاحي الذي أثار شجوني، ودفعني إلى الكتابة. وأنا الذي آليت أن أعتكف في المسائل العربية منذ أمد طويل، فجاء مقال الأستاذ الكريم وذكريات الملك الراحل، الذي تشرفت بمعرفته عن كثب، وعاشرته وحظيت بوده وكرمه وبعطفه، مدة من الزمن، فحملني كل أولئك على أن أتكلم. لقد انتهى عبد الله بن الحسين، ولم يعد يرهب الناس ولا يجتذب لصفه أحدا حتى يقال إننا نخدم سياسته وندعو إلى عترته ونحاول إعطاءه لونا براقا. إنها كلمة الحق، وصورة واضحة، لا نقصد منها سوى تسجيل حياة عاهل عربي عظيم، قد أصبح بين يدي الله وفي ذمة التاريخ

إنني لا أزال أذكر أول لقاء معه في قصره بعمان في حجرته التي كان يخلو فيها مع بعض أخصائه، ليقرأ الكتب ويلعب الشطرنج، وكان ابن عمي ضابطا في الجيش العربي، إذ لنا فرع من عائلتنا استوطن هذه البقاع منذ أكثر من أربعين عاما، وهو الذي قدمني للعاهل كأحد موظفي السفارة المصرية في أنقرة. وكان هذا اللقاء في صباح يوم الأحد ٦ مايو سنة ١٩٣٤ وكان يشاركنا في الجلسة فؤاد باشا الخطيب، الشاعر الأديب

ودار الحديث عن تركيا وحالتها السياسية والاقتصادية، وقد حاول الملك الراحل أن يجعل الحديث بالتركية، فاعتذرت لقلة بضاعتي فيها. ولما تحدثت كنت أتكلم بصراحة تامة: إذ كانت تعاليم الثورة الكمالية وأهدافها نبراسا أسير في هداه، وكانت كلمات الأتاتورك مصطفى كمال لا تزال ترن في أذني وتحرك نفسي، وكنت أؤمل في شيء واحد أن أعيش وأكافح لأرى مصر قد حققت استقلالها التام وحطمت قيودها التي تحول دون تقدمها، ولذلك تحمس فؤاد الخطيب باشا وأنشد «السيف أصدق أنباء من الكتب ... »

وكنت أمضيت خمسة أعوام أقرأ عن أحوال الدولة العثمانية وعوامل تأخرها وعلة تفككها، فجئت من أطراف الأناضول: إلى قيصرية ـ الوقيشلة ـ بوزانتي فوزي باشا ـ حلب ـ حماة ـ حمص ـ دمشق. هناك حيث تقوم فرنسا بانتدابها، لأكتشف في نهاية سوريا الجنوبية جزءا صغيرا من الأرض يمثل أثرا حيا من آثار الدولة العثمانية — تلك هي دولة شرق الأردن — لقد كنت أقول لنفسي أفي حلم أنا أم في يقظة؟ إنني لا أعرف للآن ما هو الأثر الذي تركته في نفس الملك عبد الله، إذ لا بد أنه قال هذا شاب قد أفقدته المدنية الكثير. ولكن تحمس فؤاد الخطيب باشا جعله ينقل الحديث لناحية أخرى ويوجه إلى السؤال الآتي: هل تقدر الجمال التركي؟ والحقيقة أنني لم أشغل نفسي كثيرا بالجمال التركي أو المصري أو الشامي حتى أجيب على مثل هذا السؤال؛ لأن المرأة في الشرق قد تلقت الكثير من المديح في الصحف والمجتمعات وعلى ألسنة القادة لدرجة أنه أصبح من الخطر مواجهة الرأي العام بأفكار لا تتفق مع الدعاية القائمة في صالحها، وإن كنت من أنصار تحريرها، ولذلك أجبت العاهل العربي بجملة غريبة قلت له «يجب أن ننتظر جيلا جديدا حتى نحكم على جمال المرأة التركية». ففهم أنني لا أعير المرأة اهتماما كبيرا في نظرتي إلى الحياة.. وإن كنت أعد أولى واجبات الدولة

إعداد جيل قوى من النساء القادرات على زيادة النسل؛ بشرط أن يكون الجيل قويا .. زيادة تستحق الأمة أن تكون بها موضع احترام الأمم الأخرى

والحقيقة التي لم أشأ أن أبوح بها ، وكانت تدور بمخيلتي ساعتئذ ، هي أن انحطاط الأمم الشرقية والإسلامية يعود إلى ضعف المرأة جسميا وعقليا ، ولكنني لم أشأ أن أثير مشكلة كهذه في أول لقاء ..

وكتبت في مذكرتي « عاهل الأردن أمير شرق لا يفهم ضرورات ومستلزمات العصر الحالي الذي قذفتنا الأقدار لنعيش فيه . وسط أمم قوية راقية تسير على هدى مدنية جبارة دافقة زاحفة ونحن نيام .. فالويل لنا والويل للمغلوب على أمره ممن هم على شاكلتنا . إننا نسير حتما بخطوات واسعة إلى الفناء العاجل … كما سارت أشور وبابل وفرعون وعود وعاد … إن الصمت والسكون والبيداء هي كل ما لدينا ، وسيستمر هذا طويلا حتى ننقرض وتذهب ريحنا كبعض الحيوانات التي تشغل بهيا كلها العظمية أركانا في المتاحف وقاعات العرض … إذا لم نعمل عملا حاسما

٠ ٠ ٠

وتناولت الغذاء بفندق فلادلفيا ثم دعيت عند الجنرال بيك باشا الذي دعاني إلى زيارة مركز الجيش العربي والمدرسة الخاصة بأبناء الجنود والمسجد الذي أنشأه ، كما دعيت إلى نادي ضباط الجيش ولقيت الكثير من الترحاب . وفي اليوم التالي توجهت إلى مدينة القدس ، وأمضيت اليوم بالقنصلية المصرية مع الأصدقاء عباس حلمي وحسين عزيز وأحمد عبد المجيد ..

وزرت المعرض العربي فلفتت أنظاري صور خالد بن الوليد وطارق بن زياد والمجاهد الطرابلسي عمر المختار ، وهنا اغرورقت عيناي بالدموع إذ شعرت بأن الوسط العربي بالقدس أقرب إلى مشاعري وإحساسي من الوسط في مصر ، ولكن نفسي كانت حزينة حتى النهاية . كان كل شيء يظهر أمامي كأنه مؤقت ، وكان يبدو على العرب وهم يسيرون في الطرقات ويجلسون في المجتمعات أو يتحادثون في منازلهم وكأنهم على سفر كسكان منزل قد أنذرهم صاحبه بالإخلاء السريع وهم يستعدون في أي وقت للرحيل العاجل …

ولم أنم تلك الليلة رغم تقليبي صفحات نسخة إنجليزية من الكتاب المقدس . لقد نسيت كل ما مر بي ، في شرق الأردن وعلى جسر ألنبي وأجنحة المعرض العربي وحديث إخواني ، وترحيب رجال العرب وتناول العشاء في مطعم يهودي وسماع تلك الموسيقى الغربية التي تقدمها فرقة من الفتيات المهاجرات في أواسط أوروبا . لقد جعلني كل هذا أسرح في المستقبل البعيد ، وكان كل ما حولي يدعو إلى التأمل والتساؤل …

أما أنا فوجدت في تلك النغمات الأوربية الإجابة على سؤال العاهل العربي العظيم . ما رأيك في الجمال التركي ؟

إننا أمام زحف جارف أيها الأمير الخطير …

ويقول أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات بك في مقاله البديع « لا أستطيع أن أتحدث عنه ولا أن أحكم عليه إلا من وراء ما يرى ويسمع »

وإني أحاول أن أنقل لقراء الرسالة صورة من آراء الملك الفقيد وأقواله كما جاء في بعض ما كتبه وبعض ما تحدث به

لقد وضع الفقيد كتابا تحت اسم « من أنا » كتبه على طريقة الأسئلة والأجوبة؛ بدأه بقوله :

من أنت ؟

أنا عربي أنتسب إلى العرب وبهم أفخر

ما هي مفاخرك ؟ ديني ونسبي

ما هو دينك ؟ ديني الإسلام وربي الله ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام « ص ٣ »

وقال عن العرب : « إنهم بالهداية الإلاهية والرسالة النبوية والمؤهلات المنصرية ، أسسوا المجد العظيم في سنوات معدودة »

وأراد تبرير ثورة العرب ضد الأتراك فقال :

عند ما شاخت دولة بني عثمان وسلك رجالها مسلكا يتعارض مع المبادئ العربية دنيا ودينا بدأ الخلاف المسلح بين الأمتين »

وذكر والده الحسين بن علي فقال :

« وبإرادة الله تعالى اتحدت كلمة الأمة مرة أخرى مقتدية بالفقيد الأعظم رحمه الله »

ولما تقطعت أوصال البلاد العربية قال : « إن البلاد العربية تقسمت زعامتها فئة من الناس تضع نصب العين الحرص على الحكم والتحكم ، مرة بالعصبية وأخرى بالحربية ، وأحياناً بالقوى الأجنبية »

وله رأى فى الأمة العربية يؤمن به إذ يقول : « أمة واحدة فى بقعة واحدة تحدها آسيا الصغرى فى شمالها ، وبلاد فارس فى شرقها ؛ والخليج المعروف بها ، ومن الجنوب يحدها بحر الهند ، ومن الغرب حدها البحر الأحمر فالحدود المصرية ثم بحر الروم »

وهو الرأى الذى أخذ به نورى السعيد فى مذكرته المشهورة إلى المستر كازى ، وكان يؤمن به رياض الصلح ويصرح به كثير من زعماء العرب للانجليز والأمريكيين ، أى أنهم لا يعدون المصريين عرباً ...

وللفقيد آراء صريحة فى الحكم إذ يقول :

« ليست الأمة بميراث يورث ، وليست مصالح الشعب منحة المتغلبين ، وليس القول لمن يحسن القول ، ولكن جل هذا تراث للأمين بعد الأمين ، من يظهره الله سبحانه وتعالى ، ويثبت هو جدارته فى تأدية واجبه بأمانة وإخلاص – ص ١٤٠ »

ورأيه هذا يتلخص فى أن العروبة والهاشمية صنوان لا يفترقان ، وأن هذا الأمر هذا البيت من قريش . إنه يؤمن إيماناً لا يتزعزع برسالة بنى هاشم وزعامتهم وقيادتهم للعرب كافة ، ويشاركه فى ذلك كثيرون من أبناء بلاده وأتباعه وأنصاره

وكان الكونت جاك دومال قنصلا عاما لفرنسا بالقدس ، أمضى هناك سنوات عدة ، وكتب كتابا سماه « أصوات من الشرق – وذكريات دبلوماسى » تحدث فى خاتمته عن مقابلة له تمت مع صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين عاهل المملكة الأردنية وكان ذلك فى يوليه ١٩٣٧ ، وكان مع القنصل الفرنسى صديقان ، وجه أحدهما السؤال الآتى : أنعتقد بنهضة العرب وأن تعود الخلافة إلى الوجود بعد أن انتهت باستانبول ؟

والإجابة التى وضعها ، الكونت دومال عن لسانه هو ، تكاد تنطق بأن الكثير منها من وحى الحديث الذى دار فى ذلك الاجتماع مع الأمير . اقرأ معى « الخلافة فى ركن من أركان الإسلام ، والخليفة فى الشريعة حامى الدين وخادم الشرع ، إذن يجب أن تكون بلاده حرة وقوية ، مهيبة الجانب ، تتمتع بكامل سيادتها واستقلالها حتى تقوى به كلمة الحق والدين »

« الخليفة هو أمير المؤمنين الذى يتولى أمور المسلمين للعمل بالكتاب والسنة والمشورة العامة والخروج فى الجمع ، وتلقى الأسئلة على منبر الخطابة ، والإجابة عليها – هذه هى الخلافة النبوية الغير الوراثية ، والمشترط فيها القرشية »

وهى كما نرى غير الملك والسلطان ، ولقد استشهد ثمرة الملك الفقيد بقول عمر بن الخطاب الذى قال : « أما ولى سلطان فلا ... »

وبعد فهذه كلمات مأخوذة عن الملك عبد الله بن الحسين ، الذى كان أقرب الأبناء شبها بوالده الحسين بن على ، وأشدهم تمسكا بالتشبه به ، أضعها أمام القارئ ليعلم أنه آمن منذ البدء بتعاليم والده ، قائد الثورة العربية والنهضة الهاشمية فكان يعد نفسه وارث هذه الحركة ، والأمين عليها والحارس على اتجاهاتها ، وأنه ليس فى بنى هاشم من هو أحق بها منه ، ولذلك قال : « هى تراث للأمين بعد الأمين »

لقد تأثر الحسين بن على بالبلاط الحميدى وبالتربية التركية . وكذلك كان الملك عبد الله بن الحسين . لقد كان أثر الناحيتين ظاهراً عليه ، كان مثال الحاكم الشرقى الذى يعنى بملبسه ومظهره ، والذى تحيط به هالة من الاحترام والحشمة ، وكان كذلك متأثرا بالحجاز تتجه أنظاره إليه ويحبه من أعماق قلبه ، فكان ينزل إلى مكتبه ويفتح بابه ليقابله من يشاء من رعيته ... وتلك نفحة حجازية

وسنرى فى العدد القادم ذكريات سنتين قضيتهما فى القدس أعمل كقنصل عام لمصر وفلسطين وشرق الأردن ، وما لقيته من كرم الأمير وما قيدته من أحاديثه مع كبار الساسة

أحمد رمزى

النسيان في نظر التحليل النفسي

للآنسة فائزة علي كامل

كان العلماء النفسانيون يوجهون كل اهتمامهم إلى دراسة الذاكرة، تاركين جانبا ظاهرة النسيان، إلى أن كان أواخر القرن التاسع عشر فانعكست الآية واحتلت الأبحاث في النسيان مكان الصدارة. ويرجع الفضل في ذلك إلى « فرويد » الذي ألقى ضوءا على هذه العملية فأبان ما فيها من ديناميكية لم تكن معروفة من قبل

لقد كانت الآراء السائدة ترد النسيان تارة إلى عدم الانتباه؛ وأخرى إلى علل فسيولوجية، وثالثة إلى عوامل نفسية وفسيولوجية معا . درس « فرويد » هذه النظريات وصرح بأنها ليست خاطئة من أساسها، ولكنها في حاجة إلى التعديل، إذ ليست جامعة لتفسير كل حالات النسيان

أخذ « فرويد » يدرس ما سماه « الأفعال الفاشلة » ، وهي تلك الحوادث البسيطة التي نصادفها في حياتنا اليومية كفلتات اللسان ، وفلتات القلم ، وأخطاء السمع . وكالنسيان الذي يظل لفترة معينة مثل نسيان اسم شخص أو موضع شيء ثم تذكره بعد مدة قد تطول أو تقصر

إن هذه الوقائع لو طلبنا تفسيرها من شخص عادي فإنه قد يستخف بنا في بادئ الأمر وينظر إلينا شزرا ، ثم يقول إنها أشياء تافهة في نظره ، يتحكم فيها عامل الصدفة ولا تحتاج إلى شرح أكثر من ذلك . فإذا عدنا وسألناه : ماذا تعني بذلك ؟ هل تعني أنه توجد حوادث تقع خارج سلسلة ظواهر العالم وقد بلغت حدا من التفاهة جعل حدوثها وعدم حدوثها سيين ؟ إنك بذلك تحطم قانون الحتمية وتقلب التصور العلمي للعالم . هنا نجد أن الشخص سيتراجع ويحاول أن يجد علة لهذه الأفعال فيقول : إنها تحدث عندما يكون الإنسان منحرف المزاج أو متعبا أو عندما يستثار أو عندما يشرد ذهنه عن الشيء الذي يقوله أو يقوم بأدائه

لو أنعمنا النظر فيما أتى به هذا الشخص العادي لوجدنا أنه يقول بعامل واحد هو عدم الانتباه ، وهذا ينشأ نتيجة عوامل فسيولوجية كالتعب، والصداع ، والهزال ..الخ أو عوامل نفسية فسيولوجية كتشتت الفكر ، الاستثارة ... الخ . ولكن هل حقا أن عدم الانتباه هو وحده الذي يوقع في فلتات اللسان فيجعل الخطيب يخطئ ويأتي بكلمة عكس المقصود مثلا ؟ يجيب « فرويد » بأن ذلك وإن كان عاملا مساعدا إلا أنه ليس العلة الحقيقية . فماذا نقول إزاء نسياننا كلمة معينة على الرغم من توجيه الانتباه إليها وقول الشخص « إنها على طرف لساني » ؟!

يرى « فرويد » أن العلة الحقة هي الاضطراب في الانتباه لا القلة فيه . فسبب هذه الأفعال هو اضطراب في الانتباه نشأ من تدخل مجرى آخر من الأفكار . ففلتات اللسان مثلا هي نتيجة تداخل غرضين أثناء الكلام ، فإذا تغلب أحد الغرضين على الآخر نتجت حالة قول عكس المقصود ، وإذا لم يحدث هذا التغلب فإن تصادم الغرضين يؤدي إلى تشويه أو تحوير الكلمات والأسماء فتأتي الفلتة بمعنى تهكمي أو هزلي . ويسري هذا على فلتات القلم وأخطاء السمع ونسيان الكلمات والأسماء لزمن معين . فهذه كلها أفعال لها معنى ، إنها أفعال نفسية لها هدف خاص

إن فكرة التقاء القوى هي الفكرة الأساسية لدى فرويد وأثرها ظاهر في تفسيره للنسيان . فهو لا يرجعه إلى ضعف في الذاكرة ، وإنما يراه نتيجة دافع مكبوت بواسطة قوى مماسكة، هو نتيجة اصطدام مؤثر محرك في طريقه إلى التصريف بمؤثر آخر فيؤدي ذلك إلى كبته . فالاسم المنسي أو الكلمة المنسية غالبا ما يكون لها علاقة بشخصية الفرد ويثيران فيه انفعالات عنيفة ومؤلمة . فتبعا لمدرسة زيوريخ نستطيع أن نقول إنهما يمسان «عقدة شخصية» . قد تكون هذه العقدة مهنية كما نسي « فرويد » اسم مستشفى وهو Nervi لأنه يتصل بالأعصاب Nerves . وقد تكون عائلية كنسيان «فرويد» أيضا اسم محطة Roselein لأن أخته كان اسمها Rose. فمن أهم الدوافع التي تساعد على النسيان الميل إلى تحاشي عودة الألم إلى الذاكرة؛ إذ أن كل شخص يود نسيان الأشياء المكدرة . إنه يوجد صراع نفسي مستمر لاستبعاد الخبرة المؤلمة من الشعور، وهكذا..

فالنسيان ليس إلا عملية دفاعية تتم بطريقة لا شعورية لتصل الأنا (The ego) إلى حالة تتمتع فيها بالارتياح

كذلك يلاحظ أن الشئ قد ينسى لارتباطه بشئ له أثر مؤلم. ويأتى «فرويد» بمثال شاب غير موفق فى حياته الزوجية لبرود الزوجة. وفى ذات يوم قدمت له تلك الزوجة كتابا اشترته له لعلمها بأن فيه ما يهمه. فشكرها على هذا الاهتمام ووعدها بأن يقرأه. ومر شهران دون أن يقرأه، ثم تذكره وقام ليبحث عنه ولكنه لم يستطع العثور عليه إذ نسى نسيانا تاما ذلك الوضع الذى وضعه فيه. ومرت ستة شهور ثم مرضت أم الزوج مرضا خطيرا ولم تكن تقطن مع ابنها، وهنا تركت الزوجة منزلها وذهبت إلى منزل حماتها، وقامت بتمريضها خير قيام وأظهرت عناية فائقة بها مما أفعم قلب الزوج بحب زوجته لما تبين فيها من نبل ووفاء. وفى هذه الأثناء عاد الزوج إلى منزله وإذا به يتقدم من المكتب ويفتح درجا معينا فيجد الكتاب المفقود

إن الميل إلى نسيان الأشياء التى لا يحبها الإنسان شئ عام، وما الإنكارات والتكذيبات التى يصادفها الطبيب أثناء عمله إلا إحدى نتائج هذا الميل. فمثلا جاءت أم إلى فرويد وعرضت عليه ابنها العصبي، وفى أثناء حديثها ذكرت له أن الولد يتبول تبولا لا إراديا أثناء الليل، وأن إخوته وأخواته كانوا مثله أيضا، ثم مرت عدة أسابيع وحضرت الأم فسألها «فرويد» عن بعض الأشياء ومن بينها مسألة «البول» وإذا بها تنكر هذه الواقعة بالنسبة المريض وبالنسبة لإخوته وتعجب وتتساءل: من أين عرفت هذا!! وهنا ذكرها فرويد بسياق الحديث السابق الذى دار بينهما وظهر أنها هى التى صرحت بذلك!

وإن «دارون» يؤيد قول «فرويد» بأن الأشياء المؤلمة تكون أسرع إلى النسيان من غيرها. فهو يذكر أنه يسير على قانون ذهبي يتلخص فى أن يأخذ مذكرة بشكل واقعة أو فكرة أو ملاحظة جديدة تنشر وتكون معارضة نتائجه العامة. فقد اتضح له من تجاربه أن مثل هذه الوقائع والأفكار أكثر فرارا من الذاكرة عن الوقائع والأفكار المحببة إلى الشخص

وهكذا يأتى «فرويد» بهذه النظرية الحديثة لتفسير النسيان، فهو فى نظره إنما يرجع إلى اضطراب فى الانتباه منشؤه دوافع لا شعورية تعمل على إبعاد الأفكار التى توقظ شعورا مؤلما. فكل عملية عقلية يصحبها قدر معين من الطاقة النفسية فإذا زاد هذا القدر إلى حد كبير فإن الشخص يشعر بعدم الارتياح، ولذلك يوجد ميل دائم إلى تصريف هذه الطاقة حتى يتجنب الألم ويمنع نشوب التوتر النفسى. فإذا حدث أن حلت عملية عقلية معارضة لمؤثرات أخرى واصطدمت بالنشاط الترابطى المعتاد فإن هذه العملية العقلية تفصل (bissuoted)، وهذا دفاع شبيه باستجابة الهرب لمنبه مؤلم

إن الميل لنسيان ما هو مكدر وغير سار شئ ضرورى ولازم لكل إنسان يعيش على سطح البسيطة.. إذ أنه لا يستطيع الخلاص من حدوث أشياء مؤلمة تنغصه.. كما لا يقدر على التحرر من الانفعالات الشديدة الناجمة عن تأنيب الضمير أو الشعور باللوم والخجل.. أو الإحساس باقتراف الإثم واستحقاق العقاب

فائزة على كامل
طالبة ماجستير بقسم الفلسفة

٤ - ألمانيـــــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مستقبل ألمانيا :

يتساءل الناس فى أيامنا هذه : أقضى حقا على ألمانيا نهائيا ؟ ألا تعود ألمانيا إلى سابق قوتهـا وعظمتها ؟ وهل نسى الألمان زعيمهم هتلر ؟ وهل رضى الألمان عن مصيرهم الأخير ؟

والجواب عن هذه الأسئلة واضح كل الوضوح ، فلن تستطيع أية قوة على وجه الأرض أن تمحو أمة ناهضة . صحيح قد تغلب الأمة على أمرها حينا من الزمن ولكنها لا تلبث أن تسترد نهضتها وأن تعيد مجدها وعظمتها . ولم ينس الألمان هتلر ولن ينسوه لأنه فى نظرهم بطل ضحى بحياته من أجل ألمانيا ورفاهيتهـا

والدليل على صدق ما أقول أن إحدى الصحف نشرت أخيرا صورة رائعة لمدينة برنسويك بألمانيا وهى تستقبل الجنرال رامك قائد فرقة جنود المظلات الألمانية التى هاجمت كريت واستولت عليها إبان الحرب العالمية الأخيرة . وقد حضر هذا الاستقبال الذى أقيم لمناسبة خروج الجنرال من السجن ما يزيد على خمسة آلاف من الجنود النازيين السابقين الذين عملوا فى هذه الفرقة . ومما قاله الجنرال رامك أثناء الاجتماع « إنه لا يمكن الاعتماد على ألمانيا فى المساهمة فى الدفاع عن غرب أوربا ما لم تطلق بريطانيا وأمريكا وفرنسا سراح من سجنهم مجرمى الحرب » . وقد حمل الجنود القائد على أكتافهم ووضع على حائط السرادق الشعار القديم للفرقة

وأكثر من هذا أن أعداء ألمانيا بالأمس ماعدا روسيا وفرنسا يعملون على إعادة قوتها إليها ؛ لا حبا فى ألمانيا وسيادتها ولكن لأنهـا القوة الوحيدة التى تستطيع الوقوف فى وجـه العدوان الروسى . أما فرنسا فإنها تعارض فى عودة وحدة ألمانيا لا ذاتها على يدها من ألوان المحن والهوان

وقد زار المستر موريسون وزير خارجية بريطانيا منذ شهور ألمانيا الغربية وتحدث مع رئيس الجمهورية الألمانية الغربية عن اشتراك ألمانيا فى الدفاع عن غرب أوربا، فكان رد الرئيس « إن ألمانيا لا تستطيع أن تتعاون مع محتليها ، فإذا أردتم أن نتعاون فعليكم بالجلاء عن أراضينا » . وتعمل بريطانيا فعلا على إنهاء الاحتلال لغرب ألمانيا ، أما روسيا فتعارض فى الجلاء عن البلاد التى تحتلها وذلك لأنها تعلم ما يبيته لها الحلفاء

وجدير بنا أن نبحث عن أسباب هزيمة ألمانيا فى الحربين العالميتين الأولى والثانية . أكان ذلك لضعف ألمانيا أم لنقص فى شجاعة جنودها ؟ الواقع أن قوة ألمانيا كانت عظيمة وكان استعدادها هائلا ، وخططها مرسومة منظمة ، ومن ثم نجح الألمان فى السيطرة على غرب أوربا بسرعة عجيبة أفزعت الناس أجمعين . وما زال الناس يذكرون كيف استولت ألمانيا على الدانمرك والنرويج من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب فى ليلة واحدة . الواقع أن السر فى هذا النجاح راجع إلى دقة الخطط الألمانية وحسن تنظيم قواتها

وإذن فما سبب هزيمة ألمانيا ؟ يرجع سبب هزيمة ألمانيا إلى عاملين: أولا غدر روسيا بها، فقد عقدت روسيا ميثاق عدم اعتداء بينها وبين ألمانيا قبيل قيام الحرب الأخيرة ١٩٣٩ ، فلما اطمأنت ألمانيا على حدودها الشرقية دخلت الحرب ولاقت قواتها نجاحا رائعا لم يشهد له التاريخ مثيلا . لقد خطب هتلر فى القوات الألمانية قائلا : « أنتم تقررون مصير ألمانيا مدى ألف عام »

واندفعت القوات الألمانية فاستولت على هولندا وبلجيكا وفرنسا فى مدى شهر من الزمان أو أقل ؛ ثم استولت على الدانمرك والنرويج فى ليلة واحدة ؛ ثم ولت وجهها شطر الجنوب الشرقى للقارة ، فاستولت على البلقان

وهنا غير الدب الروسى سياسته ، وطلب من ألمانيا أن تعطيه ميناء على البحر الأبيض، ولكن هتلر رفض فوقعت الحرب بين روسيا وألمانيا سنة ١٩٤٢ مما كان له أكبر الأثر فى تغيير مجرى الحرب

ثانيا : دهاء بريطانيا وساستها ومقدرتهم العجيبة على

الكذب والنفاق والغدر، مما لا ترى له مثيلا في التاريخ، وسمة حياتهم. فبريطانيا إذا وقعت في خطر جعلت من قضيتها قضية العالم أجمع، واجتهدت في أن تكسب الحلفاء والأنصار للدفاع عن قضيتها. ألسنا نذكر جميعا بكاء الثعلب الماكر تشرشل؟ إنه كان يدعي أنه يبكي على حرية العالم التي يحاول الألمان القضاء عليها. والتفت الأمم حول بريطانيا لأنها رأت في انتصار بريطانيا وحلفائها انتصارا للحرية. وانتهت الحرب وإذا بتشرشل العجوز يتنكر لماضيه ويطعن الحرية التي كان يبكي عليها طعنة نجلاء. ألسنا نذكر جميعا كيف كان يشيد بالخدمات التي قدمتها مصر لقضية الحلفاء! وكيف كان يذكر أن وقوف مصر بجانب الحلفاء كان من أهم العوامل في انتصارها. فلما انتهت الحرب تنكر لمصر. ومن ثم نراه في كل جلسة من جلسات مجلس العموم البريطاني يلوم وزير خارجية بريطانيا على تساهله مع مصر ويطلب إليه عدم إمداد مصر بالأسلحة، وتدفع مصر ثمن الأسلحة ولكن لا ترد إلى مصر ولا يرد الثمن. فإن أعطيت مصر أسلحة فإن هذه الأسلحة تكون إما تالفة أو غير صالحة بتاتا. وهكذا يكون وفاء الإنجليز بالعهد. لقد حار الناس في فهم حقيقة الخلق البريطاني! إنهم الأفعى التي تلدغ الشعوب جميعا. لقد كسبت بريطانيا الحرب بالعتاد الأمريكي وبالدم الروسي وبدماء الشعوب الأخرى، أما هم فكانوا أقل الشعوب تضحية ومع ذلك فازوا بنصيب الأسد من ثمرات النصر

ومثال آخر من أمثلة الغدر البريطاني. في سنة ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى وعمدت إنجلترا إلى إثارة العرب ضد تركيا التي كانت قد انحازت إلى جانب ألمانيا على أساس أن تعطى الشعوب العربية حريتها واستقلالها بعد انتهاء الحرب، ووفت الشعوب بما عاهدت وانتصرت إنجلترا والحلفاء، ومع هذا ماذا كان جزاء العرب!! احتلت إنجلترا فلسطين والعراق ومصر. واحتلت فرنسا سوريا ولبنان، ثم كان من نتائج هذا الوفاء بالعهد والغدر من جانب إنجلترا قيام دولة إسرائيل وطرد العرب الآمنين حلفاء الإنجليز من ديارهم وبلادهم!!

ولعلك تسألني ما سر العداء بين بريطانيا وألمانيا؟ وأنا أجيبك بأن ألمانيا بعد أن كونت وحدتها ونهضت صناعتها أرادت أن تكون لها مستعمرات وأساطيل بحرية تجارية وحربية، ومن ثم بدأ الصراع بين إنجلترا التي تريد احتكار الأسواق العالمية وبين ألمانيا التي تريد أن تكون التجارة العالمية حرة حتى تأخذ ألمانيا نصيبها من تجارة العالم، وكان من نتائج هذا الصراع قيام الحربين الأولى والثانية، وهزيمة ألمانيا

أما بعد:

فإن ألمانيا أمة قوية ودولة فنية وشعب ناهض وقطر غني ومواردها المعدنية والزراعية عظيمة، والعقل الألماني من غير شك من أرقى العقليات العالمية. ونحن جميعا ما زلنا نتمتع بثمار هذا العقل. والصناعات الألمانية تمتاز بجودتها ورخصها. بل أكثر من هذا أن أرض ألمانيا غير صالحة للزراعة ولكن العقل الألماني قد استطاع أن يحيل هذه الأرض الجدبة إلى أرض زراعية خصبة وافرة الإنتاج

ومن ثم فإن ألمانيا لن تلبث طويلا حتى تسترد مجدها وتستعيد قوتها

وأما بريطانيا فقد انكشفت ألاعيبها وحيلها وشاخت إمبراطوريتها، وإن بلدغ العالم من جحرها مرتين، وقد تنبهت الشعوب عاما ووقفت جميعا تناضل في سبيل حريتها نضال المستميت، وإن يجدي بريطانيا ما أقامته من هيئة أمم متحدة تعمل في الخيال لمصلحة الشعوب والأمم ولكنها في الحقيقة تخدم المصالح البريطانية

ولعل من الخير لبريطانيا أن تعدل عن سياستها القديمة وأن تحترم حرية الشعوب وإرادتها، فإن ذلك فقط هو الكفيل بتحقيق السلام العالمي

أبو الفتوح عطيفة

صحيفة مطوية

فى البلاغة العربية

للأستاذ أمين محمد عثمان

لا يسعك وأنت تجول فى ميدان الدراسات النفسية الحديثة، وتخوض فى بحر الثقافة الأوربية الخضم ، إلا أن تعترف لعباقرة العرب بفضل السبق فى هذا الميدان ، وتؤمن إيماناً بأن فى التراث العربى العريق كنوزا مطمورة تحتاج إلى من ينقب عنها ، ويخرجها من كهوف النسيان إلى عالم النور والعرفان

لقد كان علم النفس القديم يرى أن إدراكنا للعالم الخارجى يبدأ بالأجزاء والتفاصيل ، ثم يربط بين بعضها وبعض حتى يتألف الشكل ، فأنت — على هذا الزعم — حينما ترى الشخص تبدأ فى إدراك أجزائه أولا « شعره . عينيه . فمه الخ » فإذا كررت النظر أدركت الشخص فى جملته وهيئته . وعلى هذه النظرية كانت التربية التقليدية إلى عهد قريب ، تبدأ فى تعليم الرسم بالخطوط والمنحنيات والدوائر والأشكال الهندسية ثم تنتقل بعد ذلك إلى رسم القصص والحوادث والمناظر الطبيعية ، وعلى هذا الأسلوب سرنا ولا زلنا نسير فى تعليم القراءة والكتابة على الطريقة الأبجدية، فنبدأ بتعليم الطفل حروفا ثم كلمات ثم جملا، ضاربين صفحا عن كل أساس سيكولوجى أو تربوى

فلما ظهر علم النفس الحـــديث ، وبزغت فى أوائل القرن العشرين « مدرسة الصيغ الإجمالية » قلبت هذا الوضع رأسا على عقب ، وقامت بتجارب شتى دلت كلها على أن الإدراك عند الحيوان والإنسان يسير من المجمل إلى المفصل ، ومن الكلى إلى الجزئى ، على العكس مما تقول التربية القديمة ، فلو أنك ألقيت نظرة على شخص أو على صورة ، لكان أول ما تراه من الشخص شكله العام ، وأول ما تأخذه عن الصورة انطباعا مجملا عاما ، فإذا أطلت النظر والتأمل ، أودعتك ضرورة عملية إلى التحليل ، أخذت تفاصيل الشخص أو الصورة تثب إلى عينيك واحدة بعد أخرى

والإدراك الإجمالى أكثر ما يكون وضوحا وبروزا عند الأطفال والحيوان، فالطفل لا يحلل الأشياء فى إدراكه ، وليست به حاجة إلى التحليل ، والعنكبوت لا يعرف الذبابة إن قدمت إليه لا على نسيجه ، بل فى مكمنه الذى يتربص لها فيه ، كأن الذبابة جزء من كل، إن انفصلت عنه لم يعد لها معنى. ومن أجل ذلك اختلفت الأفراد فى نظرها إلى الأشياء ، فنظرة الفنان إلى اللوحة الفنية غير نظرة الرجل العادى ، لأن الأول يدرك من تفاصيلها ودقائقها مالا يدركه الثانى ، ونظرة الفلكى إلى السماء ليست كنظر سائر الناس

وقد أجرى العالم النفسانى (كهلر) تجارب على الدجاج أيد بها أن الشكل سابق لإدراك أجزائه ، فقد وضع بعض الدجاج فى أقفاص تسمح لها بإخراج رءوسها لتلتقط الحب من لوحة أفقية ، ووضعت على اللوحة ورقتان رماديتان : إحداهما فاتحة والأخرى داكنة ، وكلما حاولت دجاجة التقاط الحب من الورقة الفاتحة طردت ، ومن الأخرى تركت، حتى تعلم الدجاج الالتقاط من اللون المقصود بعد (٦٥) تجربة ، ثم استبدلت الأوراق الفاتحة بأخرى أشد سوادا من الأوراق الداكنة،فبادر الدجاج إلى الالتقاط من هذه الأوراق الجديدة ، وهذا دليل قاطع على أن الدجاج لم يدرك كل لون على حدة ، بل أدركه بالنسبة إلى الشكل الذى يضم اللونين معا ، ولو كان يدرى كل لون على حدة لاستمر يلتقط الحب من الورقة التى تدرب على الالتقاط منها .

وقد أحدثت هذه النظرية انقلابا خطيرا فى التربية الحديثة ، واستفاد منها المربون فى أسلوب التربية والتعليم كما فعل العالم البلجيكى « دكرولى » فى تعليم القراءة والكتابة ، حيث سار

على الطريقة السيكلوجية، فبدأ بالجملة ثم بالكلمة ثم انتهى إلى تعليم الحرف، وأخذ الفنانون ومدرسو الرسم يبدأون فى تعليم الطفل برسم الحوادث والقصص والمناظر الطبيعية لأنها تلائم نفسية الطفل وعقليته على عكس ما كانت التربية القديمة

هذا ما ذكره علم النفس الحديث. وقد تراءى لى بعد البحث والتروى أثناء دراساتى بالمادة السيكلوجية بمعهد التربية أن هذه النظرية على جدتها وقرب عهدها بالعصر الذى نعيش فيه ليست بالنظرية المبتكرة، ولا هى بالرأى المخترع — كما يدعى بعض علماء أوروبا المعاصرين — فلقد سبق إليها عبد القاهر الجرجانى إمام البلاغة فى عصره، منذ تسعة قرون. وإملك تغرق فى الإعجاب إذا علمت أنه لم يخرم من هذه النظرية حرفا واحدا.. وإليك ما ذكره عبد القاهر الجرجانى فى كتابه «أسرار البلاغة» وكان فى معرض الحديث عن التشبيه البليغ «إنا نعلم أن الجملة أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل، وأنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر، ولذلك قال العرب: النظرة الأولى حمقاء، وقالوا لمن يصف الشئ على غير حقيقته: فلان لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل. وهكذا الحكم فى السمع وفى غيره من الحواس؛ فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرة ثانية مالم تتبينه بالسماع الأول، وتدرك من تفصيل طعم الذوق بأن تعيده إلى اللسان مالم تعرفه بالذوق الأول، وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع» وهكذا يسترسل عبد القاهر فى الكلام عن الحسات حتى يصل بك إلى قوله «والأمر فى المعقولات كذلك، تجد الجملة أبدا هى تسبق إلى الأوهام وتقع فى الخواطر أولا، وتجد التفاصيل مغمورة بينها، وتراها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر»

أما بعد: فقد آن لنا أن نبحث فى تراثنا العربي على ضوء العلم الحديث، لنكشف للعالم ما أثبتت التجارب العلمية صحته ومطابقته للواقع، ولا زال فينا — مع الأسف — من ينظر إلى هذا التراث نظرته إلى خرق بالية قد مزق أديمها، ولم يدر أن بها من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، ورحم الله «حافظا» إذ يقول على لسان اللغة العربية:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى؟

أمين محمد عثمان
دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بمدرسة الرمل

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

فى هـذه الرحلة يصف لنا الشيخ فى أسلوبه الخاص رحلته إلى الحجاز ، وزيارته قبر الرسول ، وأداءه مناسك الحج ثم عودته

وقد دعاه إلى الحج وهون عليه الأمر ، صديقه الوزير رجب باشا وقد كان أميرا للحج . فأذعن الشيخ ، ويلاحظ الشيخ أن رجب باشا كله « بالترك المعرب » وعرض عليـــه أن يستصحبه ففعل

ثم يصف لنا الشيخ وصوله إلى المدينة ، وزيارته الحجرة المطهرة ثم مكة ، ومناسك الحج . وقد اجتمع وهو فى مكة بالشيخ محمد التافلاتى (مفتى الحنفية) فى القدس ودعاه إلى مرافقته إلى القاهرة فاعتذر

ويستدل من الرحلة ، على عدد من الأمور الشيقة ، فمنها أن الحج المصرى كان قائما فى ذلك العهد ، وأنه والحج الشامى يؤلفان أهم موكبين من مواكب الحجاج ، وكيف كان الحرم فى مكة يفتح فى الليل خصيصا لأمير الحج الشامى ، وقد فات الشيخ استمتاعه بهـذه الفرصة النادرة لانشغاله فى الوضوء ، إذ لم يكد يستعد لدخول الحرم فى الليل حتى أقفلت أبوابه

وكان أمير الحج ، قد أقام مولدا وفرق الدنانير ، ويصف لنا الشيخ تأثراته فى المدينة ومـكة ، وقد أخذه الحال ، حتى كاد يتأخر عن الركب الراجع بعد الحج

ويظهر من وصف الشيخ أن قوافل الحجاج كانت تحرسها الجنود ، ويصفهم بالجردة ، ويقول إن تأخر وصولهم أقلق الحجاج ، ولما أطلوا ، عادت إليهم طمأنينتهم

كما يصف لنـا الشيخ ما نسلته الأمطار فى (الحسا) من اضطراب ، ونقص فى الجمال

وإننا نترك الآن للشيخ البكرى أن يصف لنا رحلته الشيقة فى حجه المبرور :

وبعـد : فيقول أفقر الأنام وأحقر الخدام بكثرة الآثام مصطفى بن كمال الدين بن على الصديق ، لما كان الحج على المستطيع من الأمة فرضا ، كانت النفس تشوق لأدائه لتكون ممن الحق أرضى ، وتتشوق لزيارة تلك الأماكن ، التى إليها القلب متحرك غير ساكن ، لـكن عدم وجود الاستطاعة لها مانع ، وكلما هم العبد أعجزته الأقدار وأقعدته الموانع ، إلى أن فتح الحق الوهاب بابا لزيارة البيت المقدس المستطاب ، وذلك عام (١١٢٢هـ - ١٧١٠م) وذكرت ما اتفق لنـا فى هذه الخطرة فى الرحلة المسماة « بالخمرة الحسية فى الرحلة القدسية » (١) ثم عدنا إلى الديار ، وأقمنا فيها مدة بحكم الاضطرار ، فهاجت بنا دواعى الشوق ، ودبت فينا نشوة التوق ، إلى تلك الآثار المقدسة وثارت الأشجان إلى لقاء الإخوان فى سنة (١١٢٦ هـ - ١٧١٤ م) وأودعت ما وقع هذه الـكرة وما جرى هذه المرة ، فى كراسة وسميتها (الخطرة الثانيـة الأنسية للروضة الدانية القدسية) وكرينا على الأوطان ، وأعددنا أنفسنا من القطان ، فى شهر رمضان سنة (١١٢٧ هـ) وأقمنا إلى شهر رجب من شهور عام ثمانية وعشرين ، فحرك الحق سبحانه الهمة إلى زيارة عـلم الشرق وما حواه العراق من السـادات المتكاثرة . ولما وصلنا إلى محروسة حلب لم تقسم الزيارة لأمر حتم ، فقصدنا زيارة سلطان الزهاد سيدى إبرهيم بن أدهم ، ومكثنا فى طرابلس الشام نحو سبعة أشهر وأيام ، وتراجعنا للآثار المقدسة ، لملاقاة لا تنسى ، وضمنت بعض ما شهدناه فى جزء سميته (الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبية) (٢) وعطفنا على المرابع السامية الشامية ، عام ثلاثين راجين القرب من رب البرية وازدياد وارد الادكار والأفكار ، كيف الوصول إلى سماء الحجاز الرفيع المنار ، وكان عام ثمانية وعشرين توجهت همة الأخ عبد الـكريم القطان ، إلى الحج الشريف ، فقال له الأخ ذو الود والوفا الشيخ مصطفى ابن عمرو ، أنت حججت واجعل هذه من أخيك فلان ، ليحصل

---

(١) نشرنا هذه الرحلة والخطرة الثانية الأنسية فى كتيب ، مع رحلة عبد الغنى النابلسى ، ورحلة الشيخ مصطفى اللقيمى الدمياطى فى سنـة ٤٧ بعنوان (رحلات إلى ديار الشام)

(٢) نشرت فى أعداد مجلة الرسالة

لك الثواب سبعين حجة كما جاء في بعض الآثار ، فقبل منه ذلك وقرأ الفاتحة وتوجه لذلك المقام ، نائبا عن الفقير في رحلته ، وذكرت ذلك في ترجمته المسماة (بالصراط المستقيم في ترجمة الأخ الشيخ عبد الكريم) ولما عدت للديار ودخلت سنة (١١٣٠ هـ) وقرب زمن مسير الحاج ، أنشدني المجذوب الشيخ أحمد بن مراج مطاوعيا ، ثم قال لي يا مصطفى « أنا مرادهم يرسلونك إلى الحج في هذا العام » ففهمت إشارته ومقصوده ، في هذا الكلام، فقلت له « أرسلني نائبا عنك » فقال « أتروح »؟ فقلت « نعم ولو ان الروح تروح » فقال « إن رحت أرسلت مكاني » فقلت « عسى أن يدنو التهاني » . ثم غاب وحضر بعد مضى جلة أيام . وجاءني قائلا « مرادنا نرسلك إلى الحج في هذا العام » فقلت « حفظك الله السلام ، هذا هو القصد والمرام » . وكنت ذهبت لوداع الحاج قبل هذا العام بعامين أو أكثر، وأنشدت حين شهدت الهوادج والأجمال تسير بلا مين للسيد الأكبر :

زجروا العيس نحو وادي العقيق ليت شعري هل لي له من طريق

ولما رأيت (الأجمال) سائرة تخب الأرض خبا ، والقلوب طائرة ، والأقدام تطوى السباسب خبا، تزايدت منا الحسرات ، وبعد العود من التوديع ، قيدت هذا القصيد الآتي مخافة أن يضيع ، وأنشدتها الرفيق الأعز الأخ الشيخ عبد الكريم الجل فهاج وماج ، ولفصل ما عنده أجل ، وبكى واستبكى ، والمدامع أهمل، وهي :

أبروق لاحت بتلك البوادي أم بواد في حي سلمى بوادي الخ

اجتماعه بصريقه رجب باشا والي الشام وأمير الحج :

« وكنت لما اجتمعت بجناب الدستور الأكرم ، والمشير الأفخم عيننا الأعظم ، والي الديار الشامية ، وأمير الحج في هذه السنة السنية ، رجب باشا، حي من الخيرات ماشا ، سألني « هل حججت ؟ » قلت « لا » فعرض أن نصحبه في الزيارة ، وصرح في كلامه التركي المعرب الآن ، بعد التعريض والإشارة ، فأحلنا الأمر على الإرادة ، ورجونا حجا مبروراً لنيل السعادة

عزم الشيخ البكري بحج أيضا :

« ولما توجهت همة الهم ، زاد السرور وزال الغم ، وكنت أرى لي قبل ... ... أحسب مصرفه على منه مآلا . وسألته الرفق والإرفاق ... بالوفاق والإشفاق ، وأخبرت أن الوزير المشار إليه ... ... الفقير فهان الصعب عليه ، وعند الحزم والعزم على الرحيل ... دعنا قطب رحى الوجود ، شيخنا صاحب الكشف الأسنى ... الشيخ عبد الغني النابلسي ، وجميع من عنده ... ... رفده

زيارة الأهل وقبور الأجداد قبل التوجه إلى الحج :

« وزرنا ... سلطان العارفين في بحر الوحدة والعارفين سيدي محي الدين . وتوجهنا بأهل الصفح ، ثم زرنا الوالد والأجداد ... مقبرة الشيخ أرسلان ، وعممنا الزيارة بشيخنا المرحوم الشيخ ... المطيف ، وختمنا بمرقد سيدي عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، وهذا المرقد على التحقيق لجدنا سيدي محمد ابن عبد الرحمن المعروف بابن أبي عتيق ، وسبب ذلك أن محمد بن عبد الرحمن هذا ولد له عبد الله وله عقب ، فاتفق أن عدة من أولاد أبي بكر رضي الله عنه ، تفاضلوا ، فقال أحدهم « أنا ابن الصديق » وقال الآخر : « أنا ابن ثاني اثنين » وقال آخر : « أنا ابن صاحب الغار » وقال محمد بن عبد الرحمن : « أنا ابن أبي عتيق » فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم . ذكره ابن قتيبة في تاريخه. وأما عبد الرحمن الجد الأعلى فمات فجأة سنة (٥٣ هـ أو ٥٨ هـ) وحمل إلى مكة ودفن بها ، ذكره الشيخ محمد بن عبد الدائم البرماوي في « شرحه الزاهر البسام فيما حوته عمدة الأحكام »

« وبعد إتمام الزيارة وتوديع الأهل والأحباب الأخيار توجهنا مع الهم إلى قبة الحاج، عشية النهار، وبتنا في سرور وبسط تام، بين رفقة أعزة وأحبة كرام»

في طريق الحج :

« وفي صبيحة اليوم الأزهر الميمون ، سرنا إلى (الكسوة) ونزلنا قريبا من تلك العيون ، وساروا بنا ليلة السبت إلى (المزيريب) فوصلناه وأقمنا فيه أياما بعيش خصيب ، وفيه شرعت

في مسودة هذه الرحلة المباركة المسماة (الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية) ، ولم نزل نسير ، والحق سبحانه يهون المسير، إلى أن وصلنا (معان) والحاج كما يقال معان ، والزفرة في وهج، تصلى بحرها المهج

وأقمنا يوماً بهـا ثم سرنا ... نحو تلك الرحاب نرجو الأمانا
نترامى على الوشـاة غراماً ... كي يعز الزمان نأى المكانا
ولديه يلتـذ سمعي بعشق ... فيه نثنى عن الشوادى يدانا

« وكنا نشتغل في المحفة ببعض أذكار وأوراد، تدنى الأمداد وتبعد الأنكاد، ولما وصلنا (العلى) سبحنا العلى الأعلى، وأهدينا الفواتح لمن حلها من أهل التكريم، وخصصنا بفاتحة الأخ الشيخ عبد الكريم، فإنه دفن بها بعد العودة من الحج المبرور، نائباً عن الفقير، كما قدمنا قريباً بهذه السطور

« وما زلنا نسير إلى أن وصلنا منزلاً نلنا به غاية الابتهاج، إذ يلاقي فيه أهل المدينة الحجاج، وفي عشية تلك الليلة رأى الناس طلائع الأنوار، من ناحية السيد السند الحبيب الطبيب المختار، وضج الحجيج لرؤية ذلك، بالصلاة والتسليم على زين الممالك، ولم نزل بحول من أعلى وأنزل، نطوى البيد طى، طالبين وادى العقيق، إلى أن لاحت للعين لوائح القرب، وطاب للشارب من دموعه هناك الشرب، وحق لنا أن نلثم أخفاف الجمال، التي حملتنا إلى أن شاهدنا هذا الجمال. وفي هذا المعنى أنشد الواله المعنى:

وإذا المطى بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمـة وذمام

وحق للزائر، أن ينشد مكان تلك الدوائر:

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

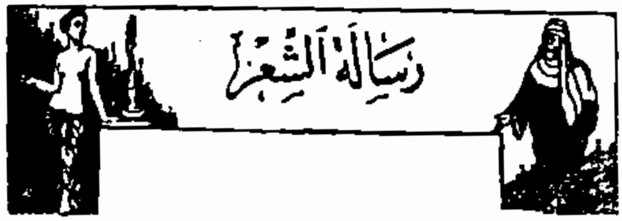
« ولما هجمنا على وادى العقيق ضحى، سالت الآماق الجامدة، واضطرمت الأشواق الخامدة، وأنفقنا العين على شهود العين، وحبذا عين تنفق في عين، ونزلنا إذ رأينا على البعد المنارات النيرة، والبناء المدهش نوره وبروق آثاره محيرة، فألقينا عن الرواحل من فرط المسرة أنفسنا، وقلنا للأنفس، هذا الأنفس الذي من أنفسنا وأنفسنا، ونزولنا عند رؤية الآثار من السنة لا يقال فيه لبس، لأنه أقر على ذلك سيد الأكوان وفد عبد قيس. قال الفاكهي « في حسن التوسل في زيارة أفضل الرسل » في الفصل التاسع والأربعين، أي من الآداب أن ينزل عن راحلته إذا رأى المدينة ومنائرها تواضعاً لله، وإجلالاً لنبيه، صلى الله عليه وسلم وأن يمشي إلى المسجد إذا استطاع بلا مشقة شديدة، وإلا مشى قليلاً، لأن وفد عبد قيس لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نزلوا عن الرواحل ولم ينكر عليهم وكانوا نزلوا بإلقاء أنفسهم قبل أن ينيخوها، فإلقاء النفس بحيث لا يتأذى ولا يؤذى الدابة وغيرها حسن فيما يظهر

ونقل أن العلامة أبا الفضل الجوهري ترجل عند قرب بيوتها باكياً منشداً:

ولما رأينا ربع من لم يدع لنـا ... فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيه أن نلم به ركبا

انتهى. وهذا الكتاب يعزى للمحقق المتقدم الهيتمي، وكتابه « الدر المنظم في زيارة القبر المعظم » . وألقينا في الخيام عصي التسيار، وقلنا ما بعد المشية من قرار، وبادرنا إلى الزيارة، فرحين بمن حللنا داره

(للمقال بقية) **سامح الخالدي**



الميعاد . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

كتب فى مذكراته يقول :

« حملت اليه طاقة من الزهر . وافترقت على أن تلقاه فى روضة الملتقى ، وشاءت الأقدار أن تخلف وعدها . . ورجع شاعرها الى أزهارها يبثها هواه ويهرق عليها دموعه . . وعند ما أوشك الفجر أن ينبلج كان قد أتم هذا اللحن ترفه الى أنفه ملهمته الخالدة . مهدية الزهر . ومخلفة الميعاد

يا مهـدى الزهر نواحاً لعاشقه ... ماضر لورحت تهديه الهوى عبقـا
تركته نهب أوهام وأخيـلة ... حيران يضرب فى بيد المنى فرقا(١)
لـكم سقى زهـرات الحب أدمعه ... وظـل حران يستـق الظما أرقا
فاعجب لظمآن قد جفت مناهله ... والورد من دمعه المسفوح قد شرقا
ناداك والليل قد شابت ذوائبه ... من السـهاد، ونجم الصبح قد خفقا
وظل يصرخ حتى ذاب من ألم ... فؤاده وجرى من ثغره مزقا (٢)

٭ ٭ ٭

دخلت روضتنا الغناء أسألهـا ... عن موعد كان لى فى ظلها ولقا
والشمس مثقلة الأضواء شاحبة ... كأنما لقيت من حيرتى رهقـا
وقد توارت عن الأنظار تاركة ... على حواشى السما من جرحها شفقا
فلم أجد غير طيف منك يصحبنى ... أنى التفت أراه نيرا ألقا

١) فرق : خائف

٢) مزق : ج مزقة وهى القطعة من الشيء

ضممتـه بين أجفـانى فهيج لى ... شوق ، فرحت عليه أطبق الحدقا

٭ ٭ ٭

«هناء» يا كوكبا مازال مؤتلقا ... لـكنه لم يجـد إلا الأسى أفقـا
أأنت ناديت أم صوت يخيل لى ... سمعته من وراء الغيب منطلقـا
قد مر بى وطوى الآباد أجمعها ... حتى استقر بسمعى حينما طرقا
فديته من صدى ما رن فى أذنى ... إلا، وأهدى لى الأشجان والحرقا
فى لحظة ردت الأقدار عاجزة ... عن سيرها . وأعادت كل ما سبقا
تجسد الوهم لى الماضى وصوره ... شخصـا لعينى اذا كلمتـه نطقا
يا لحظة تربط الماضى بحاضره ... لا كنت يا لحظة منها الأسى انبثقا
أعدت لى ذكريات كلما سطعت ... فى خاطرى جددت لى الحزن والقلقا
يا ليت من أيقظت عيناه عاطفتى ... للحب ، يشعر من فى حبه احترقا
أو ليت خالق هذا الحسن من علق ... أحب يوما إذن ما ذل من عشقا

٭ ٭ ٭

يا من تمثل فيه الروض مبتسما ... والبحر منبسطا والنجم مؤتلقا
مالى أجرعك الأحلام صافية ... وأنت تملأ لى كأس الهوى رنقا(٣)
أغرك الحسن أخاذا فتهت به ... على ، حتى ظننت الحسن ما خلقا
أم قد علمت بما فى القلب من حرق ... فرحت تمنح عينى الدمع والأرقا

٭ ٭ ٭

بغداد ... عبد القادر رشيد الناصرى

٣) رنق : كدر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قرينة طه حسين :

مسألة النساء في حياة الرجال مسألة معروفة، من الإملال وفضول الكلام أن نتخذ منها مقدمة لهذا الحديث الذي نريد أن نسوقه في هذه الكلمة. وهو حديث عن السيدة الجليلة قرينة عميد الأدب والأدباء معالي الدكتور طه حسين باشا

كثيراً ما جال بفكري أمر هذه السيدة، من حيث أثرها في حياة طه حسين وفي أدبه. لقد تحدثت إلى مراسل لمجلة (آخر ساعة) في باريس، فصاغ من حديثها موضوعا ضمنه ما أفضت به إليه من معلومات تتعلق بالحياة العامة للزوجين الكبيرين، وهي معلومات نعرف بعضها ويسرنا أن نقرأ ما لم نكن نعلمه منها

إن قرينة العميد شريكة حياة مثالية، فهي شريكته المهيئة له أسباب الراحة والاطمئنان في حياته الخاصة، وهي شريكته المشاركة له في آلام نفسه وأمانيها. فقد كانت خير معين له في فترات شديدة من حياته، إذ كانت تحاول دائما أن تثبت فيه الصبر والشجاعة، وتربت إحساسه المرهف، فيمر بالشدائد كريما جلدا ظافرا. وأستطيع أن أقول — على ما ألمح من بعيد — إنها تدفعه إلى المجد، وإن ما تدفعه إليه قد جنت منه البلاد ولا تزال تجنى أطيب الثمرات. جاء في حديث «آخر ساعة» ما يلي :

« ولطه حسين وزوجته ذوق واحد في كيفية قضاء أوقات فراغهما، فهما يفضلان الموسيقى أو المطالعة إذا لم يكونا مرتبطين بموعد لقضاء سهرة. وهما يحملان معهما أسطواناتهما الكلاسيكية المفضلة في جميع أسفارهما لأنهما يشعران براحة تامة في الاستماع إليها عند ما يكونان وحيدين »

وهذا جانب لا يستهان به في الحياة الزوجية، وهو التعاون على قضاء وقت الفراغ فيما يمتع ويفيد، فيذهب ما مضى من عناء وينبعث النشاط لما يأتي من أعمال. وإذا كان الرجل العادي يستريح إلى زوجته التي تمد له ما يشتهي من أطباق، فإن من أسباب السعادة التي يستشعرها مفكر ذو إحساس مرهف، زوجة تهيئ له ما يحب من غذاء العقل والروح. ومما نعلمه عن عميدنا الكبير شغفه بسماع الموسيقى الراقية، وهو يحرص على حضور حفلاتها التي تقام بمسرح الأوبرا الملكية في موسمها الشتوي السنوي بمصر، بل هو فوق ذلك يحرص على ألا تفوت متعتها من يؤثره، وسوف لا أنسى دعوته الكريمة التي تفضل فوجهها إلى لحضور بعض هذه الحفلات في الموسم القادم

وجاء أيضا في ذلك الحديث أن قرينة العميد ترى في الحركة النسائية أن على المرأة المتزوجة أن تهتم ببيتها وبأولادها وأن تترك السياسة للأرامل والفتيات

إن فكري وخيالي يذهبان إلى التساؤل : كيف كان طه حسين وكيف يكون إذا منى بزوجة من هؤلاء المتصايحات المشتغلات بكل شئ عدا بيوتهن وأولادهن؟ وكيف يكون حال الأدب والعلم والتعليم عندنا إذا ابتلى بامرأة ممن يطفئن النور في القلوب ويرمين بأزواجهن إلى القهوات والجلوس على الطوارات فرارا من نكد الزوجة وتعب البيت؟ إنني أتصور ذلك الفراغ الهائل في عالم الأدب العربي الحديث، فيهولني التصور.. وطه حسين كتلة من المواهب والحيوية الأدبية، ولكن هذه تحتاج إلى تهيئة الجو الصالح لتنميتها، الملائم لتنفس صاحبها

إن طه حسين — وهو الإنسان الحساس — يعرف لقرينته فضلها، وقد عبر عنه بإهدائه إليها بعض مؤلفاته. ولكننا نحن الذين انتفعنا بآثار ذلك الفضل، نحن أهل هذه البلاد المصرية وكذلك إخواننا في سائر البلاد العربية، ينبغي أن نذكر تلك السيدة الجليلة، ونذكر فضلها وأثرها في أدبنا وحياتنا، وأن نقرنها بزوجها العظيم فيما قدم لنا من نتاج أدبي وعمل مثمر، فنجلها كما نجله، ونحبها كما نحبه

عهد جديد :

هذه مجموعة قصصية لكاتب قصصي جديد ، هو الشاب العراقي الأستاذ شاكر خصباك ، أنست بها في هذا الصيف المترل وكانت مما وصلني بالعالم الحبيب المتعب الممتع .. الذي نهرب منه ونحن إليه : عالم الأدب والفن .

أعرف نزعة شاكر مما قرأته له من قبل في (الرسالة) وفي مجموعة سابقة ، وأعرفها منه صديقا طالما التقيت به في القاهرة خلال السنوات التي قضاها طالبا بجامعة فؤاد الأول . فلما أصدر مجموعته هذه صدر هذا الصيف وقبيل رحيلي إلى المصيف ، كانت مما احتقبته ، عسى أن يذهب عن نفسي ما ألم بها فأشتاق إلى المتاعب الممتعة

أحب من الأدب — أكثر ما أحب — ذلك النوع الذي يتخذ كاتبه أخاه الإنسان موضوعا له ، على أنه أخوه . . أخوه كيفما كان ، لا يترفع عنه لأن الأقدار أو الأسباب الاجتماعية أرادت له الحرمان والجهل وسوء الحال ، لا يتخذه ألهية ولا طرفة يلهى بها ويطرف ، بل يراه أخا له يرثى لحاله ويأسو جراحه ويلتمس له — كطالق إنسان — البرء والسعادة

وعند ما قلت « أعرف نزعة شاكر » كنت أعنى تسديده إلى ذلك الهدف الذي أحببت أن أرافقه — بقراءته — في الاتجاه إليه

هذه قصة (عهد جديد) — وهي قصة كبيرة جعلها في مقدمة المجموعة وسماها باسمها — تعرض لنا أسرة جزار عراقي جعل الكاتب نفسه أحد أبنائه وتحدث بلسانه كدأبه في سائر القصص ، ولا بد أنه يتخذ هذه الطريقة — طريقة التحدث بضمير التكلم — استكمالا للاندماج في جو القصة ، وهو وإن كان تخيلا إلا أن ظلال شخصية الكاتب تظهر في كثير من قصصه ، كالقصص التي يصور فيها حياة شباب يزلون في القاهرة لدى أسر (بنسيون)

نعود إلى قصة « عهد جديد » فنراه يصور لنا حياة تلك الأسرة تصويرا ينقلنا إلى ذلك البيت الصغير الذي نعيش فيه ، وكأننا نجالس الرجل وابنيه ونتوا كلهم على الحصير الذي يفترشونه في مدخل البيت . والحادثة التي تدور عليها القصة في غاية البساطة وهي تتلخص في أن الجزار يعامل أسرته بخشونة وغلظة ، وخاصة زوجته وابنه الكبير ، فلا يفتأ يوبخ الولد على كل تصرفاته ، ويوجه إلى أمه قوارص الكلم ، فيثور الابن وينفجر في وجه أبيه محتجا على إهانة أمه في إحدى المرات ، ويغادر المنزل والبلد « الحلة » ... وتمر أيام لا يعلمون له مقرا ولا مرتحلا ؛ حتى يهتدى الوالد إلى أنه رحل إلى كربلاء ليعمل عند قصاب هناك على أن يستدعى أمه لتعيش معه بعيدا عن أبيه الفظ الغليظ ، فيجزع الرجل ويلين جانبه ويخفض صوته ويحسن ألفاظه ، ثم يبعث بزوجته إلى كربلاء ، فتعود بولدها ، ومايراه الأب حتى يخرج من صلاته ويتجه إلى ابنه فرحا قائلا بصوت متهدج : الحمد لله على السلامة يانجم !

الوقائع الظاهرة قليلة بسيطة ، ولكن الكاتب يأخذنا إلى وقائع أعمق وأحفل ، هي التي تجرى في نفوس أفراد الأسرة جميعا ، فبعد أن عرفنا شخصية كل منهم عن طريق تصرفاته جعل يحركهم عندما وقعت المحنة التي زلزلت أركان البيت ، وهي اختفاء نجم ، جعل يحرك مشاعرهم ويصف حركاتهم وفقا لطبيعتهم ، فالأخت البكاءة (أم دمعة) لا تنفك من البكاء ، والأخت الجامدة تعبر عن التياعها لاختفاء أخيها بجمودها .. على طريقتها ! وقد أفاض في وصف المعالم الظاهرة والدقائق النفسية ، وهو في كل ذلك يسير في خطة القصة المؤدى إلى نهايتها والمعرب عن عقدتها وهي تغير الأب من حال إلى حال واستئناف الأسرة عهدا جديدا صار فيه الرجل الجافي إنسانا رقيقا .

وتتمثل في هذه القصة خصائص قصاصنا الشاب ، وأولاها نظرته الإنسانية ، فقد نقد الأب وصور جافته نقدا وتصويرا بالنين ولكنه ما خلى من العطف عليه كإنسان مسكين ضل سواء السبيل ثم اهتدى أو هدى إليه

وثانية الخصائص دقة الرسم مع تجنب الفضول ، فقد عرفنا بكل شخصية من الشخصيات حتى كأنهم من معارفنا الأقدمين وحتى لأحسبنى إن ذهبت إلى « الحلة » سأبحث فيها من منزل ذلك القصاب وأسأله عن أفراد أسرته لأطمئن على حالهم جميعا ! وهو يفيض بالحديث عن أشياء كثيرة فلا يمل لأنك تشعر أنك

فى طريق القصة لم يعرج بك إلى هنا أو هناك ، وفى خلال هذا الحديث تتجسم لك أصالة الكاتب فى تصوير البيئة ، وفى إجراء الكلام على ألسنة الأشخاص بما يناسب حالهم ، فالجزار مثلا يشبه زوجته بالنعجة ، وابنــه بالخروف ؛ وأبناء هذه الأيام بالجاموس المائج !

وثالثة الخصائص التى ألمحها فى قصص شاكر خصباك هى النقد الاجتماعى فليست واقعيته من قبيل «التصوير الفوتوغرافى» وإنما هو ينظر إلى ماوراء الظواهر لينفذ الى الحقائق ويلقى الضوء على مايعترضه من مظاهر الحياة الإنسانية ، وفى كثير من قصصه أهداف بعيدة ، كقصة « أغلال » التى يثير فيها قضية حب بين حمال وإحدى طالبات المدارس ، فيصور الفارق الاجتماعى بينهما عائقا ظالما ، أليس للحمال قلب كغيره من الناس !

وأنت بعد كل ذلك تحس روح القصاص العذبة وظله الخفيف وطلاوته التى تأسرك وتشوقك الى النهاية ، على رغم ابتعاده عن الإغراب وافتعال المفاجآت

وقبل أن أنظر الى (الـكفة الثانيـة) أحب أن أهنئ عالم الأدب العربى الحديث بهذا الشاب الذى يرجى أن يكون فيه من أعلام القصة البارزين

وهاك ما أراه من المحتويات (الـكفه الثانية) :

١ — لاحظت فى بعض القصص اهتمامه بما يشبه التعليق على النهاية أو الزيادة على النهاية بما لا داعى إليـه وأحيانا تفسد الزيادة الموقف ، وذلك كما فى قصة « الرهان » و « قلب كبير » فقد عنى فيها بالتعبير عن ألمه بعد الخاتمة التى كان يحسن السكوت عليها ، والحالة النفسية مفهومة وينبغى أن يدع القارئ يدركها من طبيعة الموقف ، وفى قصة « بدور بنت عمى » كانت نهايتها مصرع الفتاة التى أثارت حنقه وغيرته ، وكان يحسن صنعا لو أنه ترك القارئ يفكر فى هذا المصرع وكيف وقع ، ولـكنه راح يتساءل : هل اختل توازنها أو أنه دفعها بيده ؟ فأفسد الموقف احتمال دفعه إياها أى قتلها . وفى رأيى أن القصاص غير مسئول عما يحدث بعد أن يعرض صفحة معينة من الحياة هى التى انفعل بها وتعلق بها موضوعه ، فليس مطالبا بأن يجعل الأبطال يعيشون فى (التبات والنبات) ويخلفون صبيانا وبنات ، أو يلحق بهم مفرق الأحباب وهادم اللذات …

٢ — لاحظت فى بعض القصص مجانبة لمنطق الواقع ، فنى « قصة الدخيل » سكن غرفة فى شقة تسكنها أرمل توفى زوجها منذ شهر ، اسمها « ثريا » فلم يمض الأسبوع الأول حتى تأبط ذراع الحزينة على زوجها المخلص … وقضيا المساء فى قهوة عصر الجديدة ، وبعد أسبوع آخر ذهبا إلى السينما ، فلو فرضنا أنها « استلطفته » بهذه السرعة استلطافا أذهب الحزن من قلبها بهذه السرعة أيضا ، أفما كان من اللائق أن تتحرج قليـلا فلا تخرج معه إلى القهوة والسينما وهو متأبط ذراعها أمام الناس فى الشهر الثانى لوفاة زوجها الذى تتعلق حوادث القصة بحزنها عليه ؟ كل ذلك واسمها « ثريا » لا « مرجريت » ولا « راشيل » !

٣ — أسلوب شاكر خصباك عذب حى والحوار فيه طبيعى جميل ، وهو يستكمل بذلك أدوات القصصى الفنان . ولـكن : . وليس قليلا ما بعد « لـكن » تعوزه السلامة اللغوية والنحوية فى كثير من المواطن ، ومن أمثلة ذلك استعماله الامتنان بمعنى الشكر فى قوله (ص ١١٠) : « والحق أننى عظيم الامتنان لذلك الطفل » والخطأ النحوى ظاهر فى قوله (ص ١١١) : « ولم أكن بأحسن حال منها » وهو يستعمل حيث للتعليل فى قوله (ص ١١٤) : « وكذلك يفقد الموقد الذى حفرته فى إحدى زوايا الغرفة صلاحيته للعمل حيث يمتلئ بالماء » ويقول « إحدى المستشفيات » فى (ص ١٣٥) بدل « أحد المستشفيات » . ويقول « الأشياء المفقودة التى يعثر بهـا » فى (ص ١٤٤) بدل « يعثر عليها »

وإنى آسف لهذا النقص فى كتابة صديق شاكر خصباك ، وتدفعنى الغيرة عليه وعلى مواهبه الممتازة إلى إبدائها وأدعوه إلى أن يتألم من هــذا الذى أكتبه ، كى يعمل على تمام ذلك النقص وهو من القادرين على التمام

عباس خضر



نمـــاذج فنية
من الأدب والنقد

تأليف الأستاذ أنور المعداوي

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

علم من أعلام النقد الأدبي في العصر الحديث، وأديب من أدباء الطبقة الأولى — ظهرت مقالاته الأدبية منذ سنوات، فلفتت إليه الأنظار والأفكار، وجمعت حوله القلوب والعقول، وهيأت له مكانة عجز عن الوصول إليها كثير من الأدباء. قرأت له تعقيباته التي يوالي نشرها في الرسالة الزاهرة، فوجدته يمتاز في هذه التعقيبات بالنفاذ إلى صميم ما يعرض له من موضوعات الأدب، وشؤون الفكر، ونظريات الفن، ومن هناك يسلط أضواءه القوية على كل زاوية من زوايا الموضوع الذي يتناوله بالدراسة والنقد، فتبدو الأشياء سابحة في النور، بعد أن كانت مغلفة بالظلام، ويصبح ما كان بعيدا عن الأفهام، وقد صار أدنى إليها من كل شيء سواه. وسر هذه القدرة أن الأستاذ لا يفكر بذهنه فحسب، ولكنه يفكر بقلبه أيضا. وحين يستطيع القلب أن يفكر، فإنه ينفذ إلى حقائق الأشياء.

ثم لقيت الأستاذ المعداوي، وتوطدت بيننا أواصر المودة وصلات الأخوة، فلم أجد فارقا جوهريا بين شخصيته في الأدب وشخصيته في الحياة؛ فهو في كليهما قوي الشخصية، يعرف لنفسها حظها من التفوق، ونصيبها من الامتياز، فلا يضعها إلا فيما يليق بها؛ ومن هنا يأتي اعتداده بنفسه، ذلك الاعتداد الذي لا يبلغ حد الغرور. وهو جريء في الحق، صريح في إبداء الرأي، لا يتأثر بصداقة الأصدقاء، ولا يتهيب سطوة ذوي الجاه والسلطان. ومواقفه في ذلك معروفة مشهورة. وهو متسامح مع الناس في شؤون الحياة، ولكنه لا يتسامح معهم في شؤون الفن والأدب. ومن هنا كان عنفه في مدافعة ما يراه خطأ وباطلا من الآراء والأفكار، ومن هنا أيضا كان اتهامه بأنه معول هدم في الحياة الأدبية، وليس عامل بناء! وقد دافع هو عن نفسه دفاعا قويا « هدم » به هذا الاتهام من أساسه، وذلك في المقدمة الرائعة التي قدم بها لكتابه الأول « نماذج فنية من الأدب والنقد »

وهذا الكتاب يضم بين دفتيه طائفة من المقالات والدراسات الأدبية، منها تعقيباته المشهورة، بعد أن تناولها بشيء من التنقيح والتجويد، وبشيء من الحذف هنا، والزيادة هناك. وهو يعطينا صورة واضحة عن الأستاذ المعداوي كناقد أدبي وكدارس شخصيات، يملك موهبة فائقة، واستعدادا ممتازا، واطلاعا واسعا منوعا، ويملك فوق ذلك تجارب إنسانية مختلفة تعينه على إدراك الأعمال الأدبية إدراكا صحيحا، وعلى فهم الشخصيات الإنسانية فهما مباشرا؛ لأن هذه التجارب الإنسانية المختلفة تجعله أقدر على التجاوب مع أصحاب هذه الشخصيات، وتلك الأعمال، في تجاربهم الخاصة. والتجاوب النفسي شرط أصيل في إدراك الأعمال الأدبية، وفي فهم الشخصيات الإنسانية على السواء، والذين ينقصهم هذا التجاوب من النقاد يقفون بنقدهم عند المظاهر الواضحة دون أن يصلوا إلى البواعث النفسية.

وقارئ هذا الكتاب يرى بوضوح أن صاحبه قد احتفل بكل موضوع من موضوعاته أتم احتفال، واحتشد له أكمل احتشاد حتى لم يدع زيادة لمستزيد، أو سؤالا لمستفهم، ويرى كذلك أنه يتفوق على نفسه في بعض ما كتب، وذلك حين تتيح له طبيعة الموضوع أن يبدي كل ما لديه من موهبة، ويعرض كل ما يملك من استعداد، ثم هو يجد الأستاذ يفكر دائما بعمق وبوضوح، وهذه ميزة، ويجده مع ذلك يملك القدرة الفائقة على الإبانة والتوضيح، وهذه ميزة أخرى؛ لأن الإنسان قد يفكر بعمق في شأن من الشؤون، فإذا أراد أن يعبر عن أفكاره خانته وسائل التعبير؛ لأنه لا يملك منها الشيء الكثير

أما أسلوب الأستاذ، فإنه يمتاز بالدقة والتناسب والانسجام ونعني بالدقة اختيار الكلمات التي تحدد المعنى تحديدا تاما، وذلك من ألزم اللوازم في النقد الأدبي؛ ونعني بالتناسب أنه يوجز في مواضع الإيجاز، ويطيل في مواضع الإطالة، فلا يخل بذلك،

ولا يخل بهذه . أما الانسجام فهو تلوين الأسلوب بحيث يلائم طبيعة الموضوع . ولهذا الموضوع موسيقا رائعة الوقع ، شجية الرنين ، تمتاز بالجلال في موضوعات النقد ودراسة الشخصيات وتتفرد بالجمال في موضوعات العاطفة والوجدان . وليس من شك في أن أسلوب الأستاذ المداوى يعد من أجل الأساليب الأدبية المعاصرة . وما كان الأسلوب الأدبي في أي عصر من العصور أجل منه في هذا العصر الذي نعيش فيه

والخلاصة أن الأستاذ المداوى ناقد ملهم ، قوى الطبع ، عظيم الموهبة ، وافر الأداة ، كامل الاستعداد ، مخلص في عمله ، مؤثر له ، متوفر عليه ، وهذه الصفات مجتمعة لا تكاد تتحقق الآن في أحد سواه .

ولى بعد ذلك ملاحظات على بعض ما أورده الأستاذ في ثنايا كتابه ، وهي في الحقيقة ملاحظات يسيرة لا تنقص من قيمة هذا العمل الأدبي العظيم :

يرى الأستاذ في مقاله « حول مشكلة الفن والقيود » أن العقل الواعي هو الذي يقول للشاعر إن الجو الشعرى لهذه القصيدة يصلح له هذا الوزن دون ذاك ، وتتلاءم معه هذه الموسيقا الداخلية دون تلك ...

وهذا بالتجربة غير صحيح ، لأن العقل الباطن هو الذي يدرك أولا الصلة بين الجو الشعرى للقصيدة ، والوزن الموسيقى الذي يصلح له ، والموسيقا الداخلية التي تلائمه ... ثم ينبعث منه بعد هذا الإدراك — ذلك الوزن الصالح ، وتنبع منه هذه الموسيقا الملائمة . أما العقل الواعي فإنه « يلمس » بعد ذلك هذه الصلة

ومطلع القصيدة الذي يحدد وزنها الشعرى ، هو عند الشعراء الملهمين هدية من العقل الباطن لا دخل للعقل الظاهر فيها ، ولا حيلة له بها ... أما النظامون ، فإن القصيدة عندهم من مطلعها إلى مقطعها « وليدة » الذهن الواعي ... الواعي للتقليد والمحاكاة والسرقات !

ويقول الأستاذ في مقاله « العبقرية والحرمان » : « إن العبقريات معادن .. بعضها يتوهج في ظلال النعيم ، وبعضها يتأجج في رحاب الفاقة والحرمان »

والذي أراه أن العبقريات لا تتوهج ولا تتأجج إلا في سعير الحرمان الروحي ، أما الترف والفاقة فإنهما مظهران خارجيان لا يؤثران في العبقريات إلا بمقدار ما يكون لهما من صلة بالحرمان الروحي . . وهذا الحرمان ألوان ؛ فهناك الحرمان من احترام الناس ، وهناك الحرمان من التمتع بالجمال ، وهناك الحرمان من الحب — والحب أنواع — ، إلى غير ذلك من ألوان هذا الحرمان . ولا يمكن لعبقرية من العبقريات أن تتوهج في ظلال ترف لا يكون معه حرمان روحي ، أو تتأجج في رحاب فاقة لا تولد مثل هذا الحرمان

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن ندرس العبقريات جميعها ، فنجدها كلها من هذه الناحية معدنا واحدا ، وليست معادن مختلفة

وقد كتب الأستاذ مقالا عن أبي العلاء كما يراه ، بلغ فيه القمة حين أثبت أن القلق هو الظاهرة الكبرى في شخصية أبي العلاء ، وليس التشاؤم كما ذهب إلى ذلك غيره من الباحثين ، وحين أثبت أن سر هذا القلق هو ما كان يشكوه أبو العلاء من فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ، ثم رأى أن حرمان أبي العلاء من المرأة هو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله .. وذلك حق لا مرية فيه ، ولكن الأستاذ لم يبين السبب الذي من أجله حرم أبو العلاء من المرأة ، وذلك لازم لفهم هذه الشخصية النادرة . والذي أراه أن أبا العلاء هو المسئول عن حرمانه من المرأة ؛ لأنه حين صدمته الحياة سخط عليها سخطا شديدا دفعه إلى المجاهرة بآرائه الشاذة عن النسل ، وعن المرأة التي هي مصدر هذا النسل ، وعرفت عنه هذه الآراء ، واشتهر هو بها ، وأصبحت من عناصر شخصيته ، وخصائص فلسفته ، فلم يستطع أن يتراجع عنها ، ولم يستطع كذلك أن يجعلها بمعزل عن حياته ، حرصا منه على مذهبه الفكرى من مهاجمة الأعداء المتربصين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه كان عنيدا بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وهكذا حرم أبو العلاء نفسه من المرأة روحها وجسدها ، فكبرت عقدته النفسية ، وازداد معها قلقه النفسي ، وتبرمه بالناس وبالحياة

فشخصية أبي العلاء فيما نراه شخصية مريضة ، ظلت طول حياتها تعاني كبتا جنسيا وآخر نفسيا . وهي المسئولة من هذين

الكبتين أكثر من غيرها . وهناك سؤال وجه إلى الأستاذ المداوى عن هذين البيتين من شعر جميل :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى ... لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

والسائل يعترض على قول جميل : لو أبصره الواشى لقرت بلابله ، ويرى فى ذلك تغييرا لطبيعة الواشى الذى لا تقر بلابله حين يرى العاشقين على هذه الحال من الطهر والبراءة ، ولكن تقر هذه البلابل حين يراهما فى حالة مريبة !

وقد أجاب الأستاذ عن هذا السؤال بشرح للبيتين يتمثل جوهره فى قوله : « هذا الواشى الذى يعنيه جميل لم « يبصر » هذا الذى يقنع به داعا من حبه لبثينة ، ولو أبصر لما « تخيل .. لما تخيل أن كل محظور قد وقع فى عالم المنظور » —

وليس فى هذا الكلام ما يدفع اعتراض السائل ، وإنما يدفع اعتراضه أن تقول له إن الواشى هو فى صميم طبيعته النفسية عاش مغلوب على أمره ، أو حاسد يشقى بنعمة محسوده ، وهو هنا فى قول جميل عاشق لبثينة ، وحاسد له ؛ ومن شأن العاشق الحاسد أن « تقر بلابله » حين « يبصر » ما بين العاشق المحسود ، ومعشوقه الذى يحسده عليه ، فيعلم أنه شئ كالحرمان إن لم يكن أوجع منه ، وأشد إيلاما

ثم يبدى الأستاذ إعجابه بهذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل فى أبى العلاء :

من راح يحمل فى جوانحه الضحى
هانت عليه أشعة الصباح
وجلا المصون من الضمائر ، فانتهى
همس النفوس لضجة وصياح

مشاركا فى هذا الإعجاب الأديب السورى المعروف الأستاذ روحى فيصل . فهل علم الأستاذان الناقدان أن البيت الثانى قد نظر صاحبه إلى هذا البيت من شعر المتنبى فى صفة الجياد :

وتنصب للجرس الخفى سوامعا
يخلن مناجاة الضمير تناديا

وهل علم الأستاذان الناقدان أن « الضجة والصياح » يثيران فى نفس السامع صورا مادية مبتذلة من شأنها أن تفسد الصورة الفنية التى تكون للكشف عن أسرار النفوس ؟!

وكلمة أخيرة أحب أن أقولها قبل أن أدع القلم ؛ هى أن هذا الكتاب يضم بين دفتيه من الآراء والأفكار والنظريات ما يعد اتجاها جديدا فى النقد الأدبى ، ولذلك أقترح على وزارة المعارف أن تجعله ضمن كتب المطالعة الأدبية المقررة على تلاميذ المدارس الثانوية . وفى يقينى أن هذا الكتاب وحده يعد أجدى على التلاميذ من كل الكتب المفروضة عليهم فى البلاغة وتاريخ الأدب ، هذه الكتب التى تفسد الأذواق ، وتنحرف بالمواهب عن وجهها الصحيح

وأملى أن يستجيب وزير المعارف — وهو الرجل الأديب — لهذا الاقتراح ، وأن يضعه موضع التنفيذ

ابراهيم محمد نجا

« بيام مشرق » لاقبال

نقله الى العربية سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

للاستاذ س. م. ى.

لقد عهد قراء «الرسالة» فى الدكتور عبد الوهاب عزام بك أديباً مطبوعا واثقا من نفسه، صامدا أمام تيارات الغرب، جادا فى تفكيره، صادقا فى تعبيره وأدائه، ومن أهم ما امتاز به هذا الأديب أنه واسع الأفق، اضطلع بالآداب الفارسية التركية والأردوية واطلع على الآداب الغربية؛ كما أن صدره انشرح لآمال الشعوب الإسلامية جماء متخطيا فى ذلك القومية الضيقة والوطنية المتطرفة ومع أنه انخرط فى السلك السياسى منذ أعوام إلا أنه لايدع أعمال منصبه الجديد تصرفه عن نزعته الأدبية كما أنه لايصعب عليه الجمع بين الدبلوماسية والصدق والإخلاص، ولا غرو فى ذلك فإن الدبلوماسية بين مصر والباكستان لا تتطلب إلا توفر روح الود والصداقة وشىء من الجرأة الأدبية فى مناصرة الحق والعدل من غير مبالاة بمصالح قصيرة الأمد.

ولعل الأوساط العلمية والأدبية قد سمعت عن العمل الأدبى الجليل الذى قام به أخيرا سفير مصر فى الباكستان، أعنى الترجمة العربية لـ « بيام مشرق » تصنيف الفيلسوف وشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال الذى أراد أن يجعل من تلك المجموعة من الشعر رسالة من الشرق الى الغرب مضاهاة لما فعله الحكيم الشاعر الألمانى « جيته » فى ديوانه

وها أننا أورد فيا يلى ملخصا لما كتبه الأستاذ برويز صاحب مجلة « طلوع إسلام » وهى من كبريات المجلات العلمية فى الباكستان، بشأن قيمة هذه الترجمة العربية وشخصية المترجم الكبيرة المتواضعة، وأثرها فى توحيد الأفكار وتوثيق عرى الصداقة بين الأقطار الاسلامية

يقول الأستاذ برويز، وهو من كبار الباحثين عن المعارف القرآنية وفلسفة إقبال، فى عدد يوليو من مجلته «ألح على صديق لى منذ وقت قريب فى زيارة الدكتور عبد الوهاب عزام بك، وقد كنت راغبا عنها لضيق صدرى بمقابلة «الأمراء والكبراء» على وجه العموم، إلا أننى لو ما جلست أمام سعادة الدكتور عزام بك أيقنت بأنى إن لم أقم بتلك الزيارة لكنت قد حرمت نفسى من سعادة أية سعادة، فقد شعرت وأنا فى جو السفارة المصرية الذى لا يعدمه شىء من أسباب الزينة والزخرفة ومظاهر البذخ والثراء — شعرت هناك كأنى فى صحبة « درويش » لم يأبه بما يجرى به التقليد من التقديم والتعارف وما إلى ذلك، بل أخذ يحدثنى عن كبار أئمة الأدب

والشعر مسترسلا فى ذلك على سجيته من غير أن يبدو فى حديثه أدنى أثر للصنعة والتكلف، بل كان بالعكس متسما بطابع الصدق وعمق التفكير، وهكذا انتهت المقابلة الأولى كما بدأت بدون أى اهتمام بالتقاليد الرسمية

ثم يتكلم الأستاذ برويز عن قيمة الترجمة العربية لشعر إقبال فيقول: والدكتور عزام بك من المفتونين بشعر إقبال وفلسفته، ومن حسن الحظ حقا أنه مستكمل العدة لترجمة إقبال إلى العربية ترجمة تحافظ على روح الشعر من غير إضرار بالخصائص اللفظية وذلك لعمرى ليس بالأمر الهين. إلا أن الله قد وهب الدكتور عزام ملكة قوية لقول الشعر بحيث أنه يقرض الشعر كما لو كان ينشد شعر غيره على التوالى، وهو يتمتع بقدرة فائقة على اللغة العربية ـ أعنى العربية الفصحى التى يفهمها ويتذوقها « الأعاجم » ـ مع تعمقه فى دراسة الفارسية والأردوية، أضف إلى ذلك أنه قد أحاط بجميع نواحى فلسفة إقبال وأدرك كنهها، وأخيرا يمتاز الدكتور عزام بأنه دائم التعطش ويعنى بالاستزادة من كل مصدر أيا كان

وإذن فيعتبر تصدى الدكتور عزام لترجمة شعر إقبال استجابة لدعاء إقبال نفسه لأنه، رحمه الله، كان شديد الرغبة فى إبلاغ رسالته إلى الأمة الاسلامية قاطبة، وقد صرح بأن هذه الرغبة هى التى حدت به إلى قول الشعر بالفارسية بدلا من الأردوية فى كثير من الأوقات، إلا أنه لم يكن فى وسعه ـ وكم كان يأسف لذلك ـ أن يتحدث إلى العرب بلغتهم، والآن

وقد وجد إقبال خير مترجم له فى الدكتور عزام بك ، فلنأمل أن يؤدى الاطلاع على أفكار إقبال وفلسفته إلى « وحدة القلب » تلك الوحدة التى هى أسمى وأفضل من « وحدة اللغة » - كما يقول إقبال - بين الشعوب الاسلامية المختلفة ، ولعل الاطلاع على شعر إقبال أيضا يبرز الحقيقة التى عبر عنها إقبال بقوله : إن « لا إله إلا » لابد وأن يبقى كلمة غريبة مالم يشهد القلب به ، سواء فى ذلك العرب والعجم كلاهما »

وترجمة الدكتور عزام تفيض بإعجابه الشديد بإقبال وإعانه القوى بالمبادىء التى نادى بها شاعر الإسلام ، وإنه لمن المدهش حقا أن يتمكن المترجم لا من نقل الروح والمعنى فحسب ، بل من تتبع الأصل فيما يتعلق بالشكل وديباجة الشعر أيضا ، والترجمة مذيلة بكلمة شعر طويلة للدكتور عزام بك يعرض فيها خلاصة وافية لتعاليم إقبال ، ويبتهل إلى الله أن يكون انتشارها سببا لانقاذ العالم من محنته الحاضرة

ويختتم الأستاذ روز كلمته بإهداء التهانى إلى شعب مصر الذى قام ممثله بإيجاد مثل هذه الحلقة المحكمة للربط بين العالم الاسلامى ، تلك الحلقة التى هى أبعد أثرا من أية عهود ومواثيق سياسية لأنها ترمى قبل كل شىء إلى « وحدة الفكر » ووحدة الفكر هى الأساس المتين « لوحدة العمل » لاغير

س . م . ى

الاسلام وجها لوجه

للاستاذ محمد خفاجي

الأستاذ « السمان » من خيرة شبابنا الذين يفهمون رسالتهم فى الحياة على وجهها الصحيح ، ويذودون عن حرية الرأى والقلم بكل ما يستطيعون ، ويرون للاصلاح فى مصر والبلاد الاسلامية وجها واسعا غير الوجه الذى يسير فيه الآن ببطء وتعثر شديد وهو يقظ يقظة فكرية شديدة فى رأيه ومعانيه وتعابيره

وقد صاحبته فى كتابه « الاسلام حائر بين أهله » فوجدت ما يعجب كل قارىء من خصائصه الفكرية والأسلوبية

واليوم أقدم للقراء أثره الجديد الثانى وهو « الاسلام وجها لوجه » الذى أفاض فيه فى شرح الاسلام ومبادئه ومناهجه ؛ دينا ودولة ، سيفا ومصحفا ؛ والذى يرسم فيه خطوط الاصلاح وفق نواميس الإسلام الخالدة ، وينقد مظاهر الحياة الاجتماعية الحاضرة على أضوائها ، ويفلسف عقيدة « الاخوان المسلمين » الدينية والاسلامية ؛ ويتحدث عن آرائه فيه بإيمان قوى

ولاشك أنه جدير بالعناية والاهتمام من كل قارىء وباحث ، لما حواه من جديد الآراء فى الدراسات .

صلوات على الشاطىء

كتاب خصب ، ألفه الاستاذ أحمد الشرباصى الأستاذ بالأزهر الشريف ، ونشر هدية أدبية سنوية لمجلة البعثة الكويتية التى تصدر بمصر . . وقد طبع الكتاب بمطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة عام ١٩٥١ فى نحو ١٢٨ صفحة طبعة أنيقة جميلة

والكتاب مذكرات أدبية روحية ، أملاها المؤلف على شاطىء رأس البر ، وقدمها إلى شاطئ الخليج العربى ، وصدرها بإهداء إلى حضرة صاحب السمو الأمير المعظم الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت

وإذا كان أدب الطبيعة فى اللغة العربية قليلا محدودا ، وكان أدب الشواطىء أقل وأندر . . فان هذه الفصول جديدة التصوير للطبيعة ومظاهرها ، وللبحر وأسراره ، وللنفس الإنسانية وأغوارها

ولا شك أنها متعة أدبية روحية عالية ، وأثر طيب من آثار الشرباصى القمة بالروحية الصادقة ، والصوفية الطاهرة ، ومختلف المشاعر الحية .

محمد خفاجى



إلى السيدة أمينة السعيد !

جاء في باب « اسألوني » في العدد ١٣٩٩ من مجلة المصور الصادر في ٣ أغسطس سنة ١٩٥١ استفهام من سائلة عن ختان البنات وكان الجواب « أن عملية الختان ليس لها أصل ديني مطلقا بل هي تقليد توارثه الناس عن الفراعنة ويقول الأطباء إنها مضرة بالفتاة .. وإن معظم الولادات العسرة يعود إليها والعمليات المتعددات .. إلى آخره

والإجابة على هذه الصورة لا تشفي غليلا وليس لها سند تعتمد عليه ، فقد تواتر تأييد الدين الإسلامي لهذه العملية وأجازها بصورة حكيمة وضحتها الأحاديث النبوية الكريمة

وهذا الموضوع بالذات قد تناولته أقلام الباحثين في المجلات الطبية والأدبية والإسلامية وقامت مجلة الرسالة الغراء مشكورة بنشر الأبحاث المتعلقة بهذه العملية . وخوف التكرار الذي لا طائل تحته أحيل السيدة الفاضلة على مجلة الرسالة ففيها بحث واف في العدد ٩٣٧ ومجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الخامسة ، وتعليقنا في العدد ٩٣٨ من مجلة الرسالة ، ففيها شفاء وكفاء

وليس من شك في أن لزاما على الباحث الفطن أن يستقصي وينقب في الموضوع الذي يتعرض له قلمه ولا يلقي الكلام إلقاء وفيه ما فيه من بلبلة الأفكار .. بل قد يتخذه بعض القراء حجة على وهنه وضعفه وفي ذلك ما فيه من نقص في البحث وقصور في الاطلاع ، ونعيذ قلم الكاتبة الفاضلة من الدنو من ذلك في رسالتها السامية ، وفقنا الله جميعا للصواب

شطانوف — محمد منصور خضر

نسبة شعر :

اطلعت مؤخرا على العدد «٩٤٤» من الرسالة الأغر فإذا بالأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري يستنكر في صفحة البريد الأدبي على الأستاذ صاحب كتاب « الشعر العربي في بلاطات الملوك » نسبة أبيات إلى النابغة الذبياني وهي :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد طول العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيأ يسره
كم شامت بي إن هلكت وقائل : لله دره

ويقول إن الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي نسبها هو الآخر كذلك إلى النابغة الذبياني خطأ في مؤلفه «الشعراء الجاهليون» اعتماداً على بعض كتب الأدب « .. والأصوب نسبتها إلى لبيد ابن ربيعة العامري حيث نشرها جامع ديوانه مع شعره » .. !! ما هذا يا أستاذ عبد القادر ! أليس من المحتمل أن يكون هذا الذي جمع ديوان لبيد وطبعه في مطابع أوربا قد دس في تضاعيفه هذه الأبيات دسا دون تحقيق أو تمحيص وأخطأ في نسبتها إليه ؟! وهل يصح عقلا أن نخطئ النصوص والمراجع الأدبية قديمها وحديثها ونضرب بها عرض الحائط لنصدق زعم زاعم من المحدثين مهما كان مركزه الأدبي ومهما كانت درجة ثقافته

إنك لو رجعت إلى الجزء الأول من « الشعر والشعراء » لابن قتيبة مثلا — وهو كما نعلم مرجع من المراجع الأدبية الموثوق بها — لوجدت فيه هذا النص :

« .. قال أبو عبيدة عن الوليد بن روح قال : مكث النابغة زمانا لا يقول الشعر ، فأمر يوما بغسل ثيابه ، وعصب حاجبيه على عينيه ، فلما نظر إلى الناس قال :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئـــا يسره
كم شامت بى إن هلـكت وقائل : لله دره

ومنه يتضح لك أن الأبيات الآنفة الذكر من شعر النابغة الذبيانى لا من شعر لبيد بن ربيعة العامرى كما تبادر إلى ذهنك خطأ . . .

بور سعيد محمد عثمان محمد

تساؤل :

نشرت مجلة الرسالة قصيدة بعنوان « النور الحائر » للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى ولا أدرى مدى التطابق بين العنوان والقصيدة ، ولـكن القصيدة جيدة جعلتنى أهمهم بها مرات ، وقد لفت نظرى بيت محجوب بالغموض ولا أقول بالخطأ لأن الشاعر قد يؤوله إلى الصواب قال : — وهو يناجى الرب —

يا أيها الأزل المحجوب بالقدم يا أيهـا الأبد المستور بالعدم

إنى أسأل الشاعر هل يجوز وصف الله بالأزل والأبد بدون نسبة أى « الأزلى » و « الأبدى » وما معنى الأزل المحجوب بالقدم؟ مع أن كلا اللفظين مترادفان؟ ثم ما هو المراد بالأبد المستور بالعدم . أظن البلاء جاء من القافية

عامودة عفيفى الحسينى

عبرة :

سئل بعض بنى أمية من سبب زوال ملـكهم فقال :

شغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهاتنا ، ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا ، وظلم عمالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ، وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا ، وبطل عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعداؤنا فأعانوهم علينا ، وقصدنا بغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة أنصارنا ، وكان أول زوال ملـكنا استتار الأخبار عنا فزال ملـكنا عنا بنا

حفنى مصطفى العطاسى

تصحيح :

جاء فى كتاب الدكتور أحمد أمين « المهدى والمهدوية » فى الحديث عن مهدى السودان ما يأتى « وقوى هذه العقيدة فى نفس صديقه عبد الله وهو المعروف بالتعايشى الذى أصبح خليفته من بعده وأصله من دنقلة كذلك »

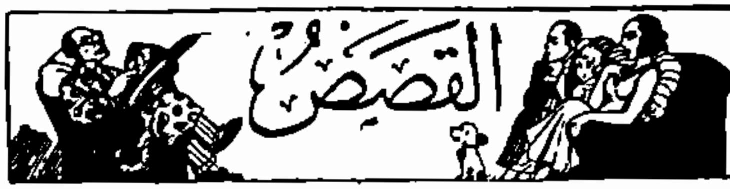
وإذن فقد نسب الدكتور المهدى إلى دنقله وهو صحيح ، أما نسبه للخليفة إلى دنقله فهو خطأ . كنا نود ألا يقع فيه حضرة الباحث الـكبير .. والمعروف أن الخليفة من دارفور من قبيلة التعايشة العربية

ابوه محمد حسب الله

الإجهاز لا التجهيز

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى فى العدد ٩٤٥ من الرسالة الزهراء عن كتاب الاسلام المفترى عليه لمؤلفه غزالى القرن العشرين فألفيت فى ثنايا حديثـــه كلمة أرقفتنى وهى : « التجهيز » فقد جاءت فى صدد قوله عن الشيوعية « والتجهيز عليها بسيف الإسلام » والأصح والإجهاز لأن التجهيز هو التهيؤ والاستعداد فلا تؤدى للمعنى الذى يقصده حضرة الـكاتب الفاضل دون الإجهـــاز . وقد جاء فى مختار الصحاح مانصه فى مادة « جهز » أجهز على الجريح أسرع قتله وتممه وجهز العروس والجيش تجهيزا ، وجهزه أيضـا هيأ جهاز سفره وتجهز لـكذا تهيأ له .

الريف . الإقليم محمد الدسوقى



باريس : سبتمبر ١٧٩٢

عن البارونة أورزى Paroness Orczy

للأديب محمد البكرى محمد

— ١ —

.. قبل غروب الشمس بفترة وجيزة .. وفى الباب الغربى لباريس .. كانت هناك أصوات صاخبة تصدر من كائنات لا تحمل من الإنسانية غير اسمها !

.. وظلت المقصلة سحابة اليوم ماضية فى عملها المخيف .. تحصد أولئك الذين كانت فرنسا تفخر بهم فى العصور الغابرة : من ذوى الأسماء التليدة ، والدماء النبيلة .. لقد دفعوا الضريبة عندما هبت ثورة الحرية والمساواة !

.. وتوقفت المذبحة عند هذه الساعة المتأخرة من النهار .. لا لشئ سوى أن هنالك مناظر أكثر أهمية .. وأكثر تسلية تشاهدها الجماهير فى الفترة القصيرة قبل أن تغلق أبواب باريس ليلا

. وهكذا اندفع الناس خارج ميدان (لاجريف) وتوجهوا إلى الأبواب المتفرقة كى يتسلوا بالمنظر المثير الذى كان يتكرر كل يوم .. منظر الأرستقراطيين الذين يحتالون — ويحاولون أن يهربوا من فرنسا

.. وكانت هذه الطبقة خائنة فى نظر العامة .. خائنة كلها بلا استثناء. ولقد طالما اضطهد أسلافهم أفراد العامة .. وداسوهم تحت أحذيتهم المترفة . ولكن ما قد أصبح العامة حكام فرنسا .. وداسوا سادتهم الأولين لا تحت أحذيتهم ، فقد كانوا فى الغالب حفاة — ولكن تحت سيف المقصلة !!.

— ٢ —

.. كانت المقصلة تدعو إليها ضحاياها .. من رجال بلغوا أرذل العمر .. ونساء فى ميعة الشباب .. وأطفال فى غضاضة الزهر !. حتى جاء يوم لم ترحم مدينتها فيه أن تفصل رقبة ملك .. وملكة صغيرة جميلة

.. ولكن هذا ما كان ينبغى !. ألم تصبح فرنسا اليوم فى قبضة الرعاع ؟ كل أرستقراطى خائن .. كما كان أسلافه من قبل ولم يعد لأحفادهم مهرب من انتقام الرعاع إلا أن ينجوا بأبدانهم ويفروا من فرنسا

.. لقد حاولوا أن يستخفوا .. وحاولوا أن يهربوا .. وكانوا فى كل ذلك مبعث تسلية لأفراد العامة ! ففى كل أصيل قبل أن توصد أبواب المدينة .. وقبل أن تخرج منها عربات الأسواق .. كان بعض الأرستقراط يحاولون الإفلات من قبضة (لجنة الأمن العام) متنكرين فى أزياء مختلفة .. يبغون لهم مقرا فى إنجلترا .. أو أى بلد آخر

.. ولكنهم كانوا — غالبا — يقعون فى قبضة الحراس ...

.. وكان (بيبو) يتنوع خاص له حاسة غريبة يشم بها أيا منهم مهما أمعن فى التنكر . وكان ينظر إلى فريسته بالعين التى ينظر بها القط إلى فأر .. يداعبه .. ويتظاهر أنه خدع بمظهره .. وأحيانا يتغافل عنه .. ويدعه يمضى .. ويتيح له أن يحلم بالنجاة ولكن سرعان ما يرسل وراءه اثنين من رجاله يعيدانه خزيان .. ليلقى حتفه

.. وليس بعجيب أن يتزاحم الناس حول (بيبو) فلقد شهدوا اليوم مائة رأس نبيل تهاوى تحت المقصلة .. وإنهم ليرجون أن يتاح لهم أن يشهدوا مائة أخرى مع الغد

— ٣ —

كان (بيبو) جالسا على برميل بجوار الباب الموكل بحراسته وتحت إمرته شرذمة قليلة من الجنود المدنيين .. وكان العمل قائما على قدم وساق فى هذه الأيام الأخيرة ، لأن أولئك النبلاء المناكير . قد أفزع روعهم .. ودفع بهم الفزع إلى محاولة الفرار

من باريس بأى ثمن !. ولكن (بيبو) كان يرصد لهم دائما !. يكشف أمرهم .. ويبعث بهم إلى (تنيفيل) رئيس لجنة الأمن العام .. حيث تنتظرهم النهاية المروعة !..

.. وكانت حماسة (بيبو) واخلاصه وغيرته تبلغ إلى حد إعجابه بنفسه فلقد أرسل خمسين من الأشراف بجهوده إلى ساحة المقصلة ! ...

.. ولكن أوامر خاصة صدرت إلى الحراس اليوم !... إن عددا وفيرا من الأشراف قد نجح فى الهروب .. وإن شائعات غريبة تلوكها الألسنة عن هذا الهروب .. وإن هذا الأمر قد أصبح شغل الناس .. ومبعث دهشة الجميع ! ... وها هو ذا (جروسبير) تحت سيف الجلاد .. جزاء ما قصر .. فأتاح لعائلة ارستقراطية أن تفر من الباب الشمالى !..

وأصبح معروفا أن هذا التهريب تنظمه عصابة من الانجليز كانت تفتن فى أداء مهمتها .. وإنقاذ طبقة الأشراف من الإعدام .. وعمت الشائعات وترعرعت .. ولم يعد هناك شك فى وجود هذه العصابة الغامضة .. وأكثر من هذا فقد أصبح من اليقين أنها تحت إدارة رجل ذى مرة وحيلة فوق الوصف !..

.. إن أحدا لم ير هذه العصابة الخفية .. وإن أحداً لا يجرؤ أن يذكر رئيسها .. إلا فى رعب .. كأنما يتحدث عن الشيطان !

وكان (تينفيل) تصل إليه رسالة غامضة .. يجدها مرة فى جيب ردائه .. وأخرى تصل إلى يده فى غمرة الزحام .. وفى كل مرة .. كانت تنبىء عن نشاط العصابة وقوتها .. وكانت تحمل فى نهايتها .. ختم العصابة (الزهرة القرمزية) .. ولا تزال الأخبار تصل إلى أعضاء اللجنة ان عددا من الملكيين قد غادروا الشاطئ إلى انجلترا حيث الأمان ! ...

— ٤ —

.. ضوعف عدد الحراس .. وهددوا بالموت ، وانبثت المكافآت هنا وهناك لمن يرشد عن هذه العصابة الآثمة .. أما رئيسها .. فإن خمسة آلاف فرنك لمن يقبض عليه! .. وقد أحس (بيبو) أنه سيحظى بهذه المكافأة دون شك .. بل إنه واثق من هذا ! ولذلك لم يك غريبا أن تجمع الناس حوله كل يوم .. ليشهدوا بأنفسهم هذا الحارس الماهر عندما يتصيد ضحاياه .. والتفت (بيبو) إلى مساعده قائلا : —

— « لقد كان (جرو - بيير) ابله بلا شك ! ... آه لو كنت مكانه ! .. » ثم بصق على الأرض ليعبر من اشمئزازه من غباء زميله ... فأسرع مساعده إلى سؤاله : —

— « كيف ؟ ! . ماذا حدث ؟ ! ؟ » . وهم (بيبو) بالإجابة فى رزانة مفتعلة .. بينما تزاحمت الجماعة لتنصت — فى شغف — إلى حديثه :

— « فى الوقت الذى كان فيه (جروسبير) عند بابه .. يلاحظه فى انتباه كانت عربات السوق تمر إلى الخارج .. وكانت إحداها محملة بالبراميل ويقودها رجل عجوز وإلى جواره ولد .. وكان (جروسبير) ثملا نوعا ما .. ويعتقد فى نفسه المهارة الفائقة .. نظر فى البراميل — فى معظمها على الأقل — وظن أنها فارغة .. فترك العربة وشأنها ! ولم يمض نصف ساعة حتى أقبل عليه أحد ضباط الحراسة ومعه اثنا عشر جنديا .. وسأله :

— هل مرت عربة من هنا .. يقودها رجل عجوز بجواره ولد ؟

— نعم ! منذ نصف ساعة

عندئذ صاح فيه الضابط :

— وتركتهم يهربون ! ويلك .. إلى المقصلة جزاء مافرطت .. إن هذه العربة كانت تقل (دوق دى شالى) وعائلته ! فانتفض (جروسبير) من الوجل .. ثم أردف الضابط قائلا :

— أجل ! والسائق العجوز لم يكن شخصا غير رئيس العصابة الإنجليزية !

.. وهنا تصايحت الجماعة من الدهشة . وأخذ (بيبو) يضحك كثيرا .. ثم استأنف قائلا :

— ... ثم صاح الضابط فى جنوده الاثنى عشر يهيب بهم أن يدركوا هذه العربة الهاربة .. ويذكرهم بالمكافأة .. واندفع إلى الخارج وتبعه رجاله ...

... وهنا تصايحت الجماعة مرة أخرى ! واستبعدوا أن يلحق الضابط ورجاله بالعربة .. بينما كان (بيبو) يضحك من هذا التصايح حتى بدت نواجذه .. وطفرت الدموع من عينيه .. وسرعان ما قطع دهشة الجميع حين قال :

— إن النبلاء لم يكونوا فى العربة .. ولم يكن السائق العجوز رئيس العصابة بل إن الضابط نفسه هو ذلك الإنجليزى الجرىء .. ورجاله الاثنا عشر كانوا كلهم من الأرستقراطيين .. وقد هربوا ! .

... وفى هذه المرة .. لم تصايح الجماعة ولم تحر جوابا .. فى الحق إن هذا الإنجليزى الغامض لابد أن يكون الشيطان نفسه !

— ٥ —

... كانت الشمس تدنو إلى الغروب ... فاستعد (بيبو) أن يقفل ... وصاح أن تتقدم العربات الخارجة ... وكان هناك بضع عشرات من العربات المقفلة على استعداد أن تغادر المدينة لتحضر المحاصيل من الريف ، ابتغاء السوق فى الصباح ...

... وكانت هذه العربات معروفة جد المعرفة لدى (بيبو) لأنها تمر من خلال بابه ... مرتين كل يوم ! ولذلك كان يبدو عليه الأسف عند ما أخذ يفتش هذه العربات ... ثم لمح (بيبو) امرأة عجوزا بين سائق العربات وسائقاتها ... وكان قد رآها فى الصباح قريبا من المقصلة فقال لها :

— هيه ... يا أم ! ماذا أتى بك إلى هنا ؟ !

فأخذت تعبث بسوطها بأصابعها الغليظة المعروقة بينما ضحكت ضحكة خشنة إلى (بيبو) وأشارت إلى مقبض سوطها الحاط بخصل من الشعر مختلفة الألوان ... وقالت له :

— لقد صادقت الجلاد !.. وقد أهدى إلى هذه الخصل من الرءوس التى تتهاوى تحت سيفه ... وقد وعدنى خصلا أخرى غداً .. ولكن لا أدرى . لعلى لا أكون هنا فى الغد !

فأسرع (بيبو) إلى سؤالها عن السبب ، فأشارت بسبابتها إلى داخل العربة وأجابت :

— إن حفيدى مصـــاب بالجدرى ، ويقول البعض إنه الطاعون ! وإذا كان الأمر كذلك ، فسوف لايسمح لى أن أدخل باريس فى الصباح !

ولم تكد العجوز تذكر كلمة « الجدرى » حتى تراجع (بيبو) إلى الوراء ، وعندما ذكرت « الطاعون » تقهقر عنها مااستطاع إلى ذلك سبيلا ، وتحاشت الجماعة كلها هذه العربة وصاح (بيبو) فى العجوز :

— عليك اللعنة

— بل عليكم أنتم ، أيها الجبناء ! أى رجل هذا الذى يرتاع من المرض ؟! وظلت الجماعة واجمة ، خائفة ، يبدو عليها الفزع ، لأن هذا الداء الخبيث « الطاعون » هو الشئ الوحيد الذى يستطيع أن يثير الرعب والضيق فى هذه المخلوقات المتوحشة !؟ وأخيرا صاح (بيبو) فى المرأة مرة أخرى :

— اغربى عنا ... اغربى بطفلك هذا المصاب بالطاعون !

.. وفى ضحكة خشنة ألهبت العجوز ظهر حصانها بالسوط وانسلت خارج باريس ! .

. . وأفسدت هذه الواقعة أصيل اليوم .. ولا يزال أفراد الجماعة التى حول (بيبو) ينظر بعضهم إلى بعض فى ريبة وحذر ولا يزالون يتحاشون بعضهم خشية أن يكون «الطاعون» .. قد اندس بينهم من قبل .. ثم أقبل فجأة ضابط من الحرس . . وكان حقيقة هذه المرة . . لأنه معروف شخصيا (لبيبو) ... ولا خوف أن يتكشف عن ذلك الإنجليزى المخادع المتنكر ... وقبل أن يصل الضابط إلى الباب كان يصيح : —

— عربة ... العربة ! ...

فسأله (بيبو) فى لهفة : —

— أية عربة ؟ ! ...

— تقودها امرأة عجوز ... عربة مغطاة ! ...

— إن من نوعها الكثير ! ...

— امرأة عجوز تزعم أن حفيدها مصاب بالطاعون ! ...

— أوه ! ... نعم ! ...

— بالطبع ... أنت لم تتركها تذهب ! ! ...

فأجاب (بيبو) وقد استحالت حمرة خده إلى شحوب الموت : —

— كلا ! ...

— إن هذه العربة تحمل (الكونتس دى تورنيه) وطفليها .: وهم من الخونة .. الذين تنتظرهم المقصلة ! ...

... وكانت رعدة الخوف قد تملكت (بيبو) عندئذ ... فتمتم كالمحموم قائلا : —

— ومن السائق ؟! ...

— لا شك أنه ذلك الإنجليزى الملعون ... رئيس العصابة الغامضة ! ...

الكيلانى

محمود البكرى محمد
جامعة فؤاد الأول